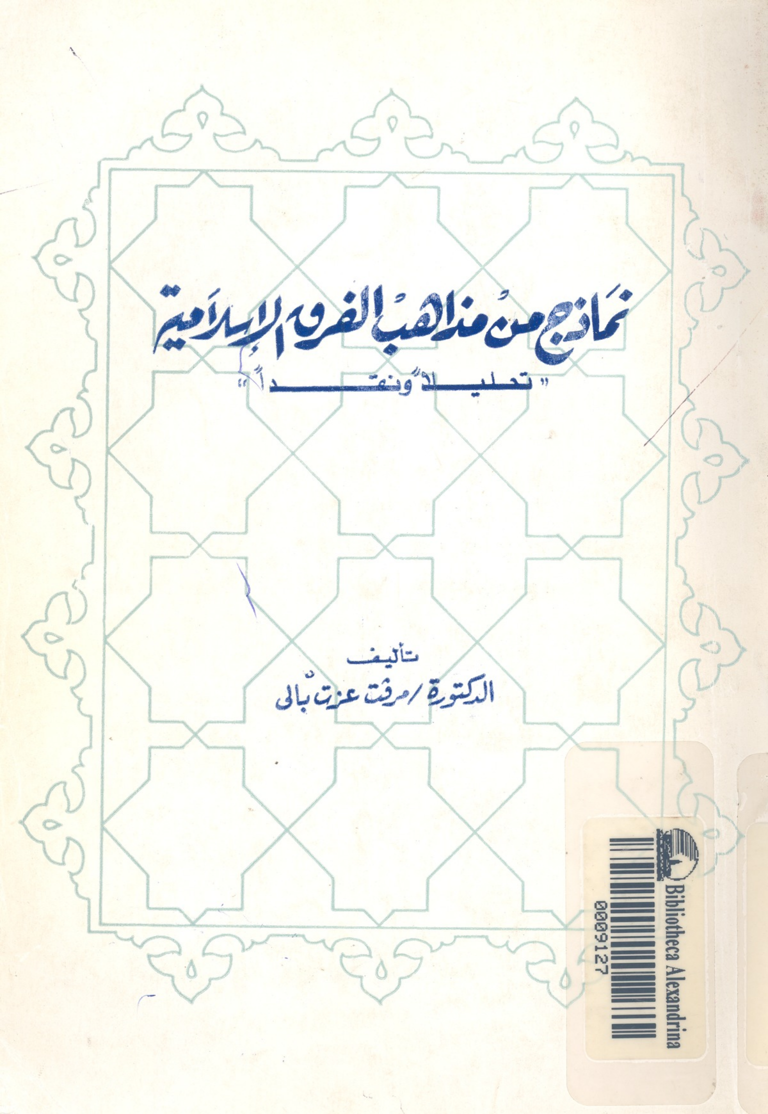

نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية
"تحليلاً ونقداً"
تأليف
الدكتورة/ مرفت عزت بالى
Bibliotheca Alexandrina
0009127

نماذج
من مذاهب الفرق الاسلامية

نماذج من مذاهب الفرق الإسلامية

"تحليلاً ونقداً"

تأليف

الدكتورة / مرفت عزت بالى

١٩٩١

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة

الاهــــداء

الي روح المغفور له المرحــوم

الأســتاذ الدكتور/محمـد عبـــد الهـــادى أبو ريده

الغائب الحــاضر

المثل القدوة　　خلقا وعلما　　عطاء وفكرا

أهــدى هذه الدراسة

تقديرا لدوره وريادته فى مجال الفلسفة الاسلامية

مرفت عزت بالى



مقـــــدمة

الحديث عن علم الكلام ومذاهب المتكلمين ليس بالأمر الجـديد على مساحة الفكر الاسلامى والفلسفى معا ، فهو مدار بحث الدارسين والباحثين فى العقيدة أو أصول الدين ، وموضع بحث ودرس من قبل العديد من المعنيين بالفكر الفلسفى الاسلامى ·

ولعل من الدوافع التى شجعتنى على البحث والكتابة فى علم الـكلام جمعه بين البحث فى العقيدة ، والبحث الفلسفى ، وكلاهما يرضى فى نفسى حاجة فنبحث فى مسائل الدين وننظر اليها من منظور عقلانى ودراسة كتلك تجمع بين الحسنيين :

ـ التدبر فى أمور الدين التى نحن مأمورون بالتسليم بها ·

ـ واعمـال العقـل وهو ما كرم الانسـان به ، وتميز به عن سـائر المخلوقات · فاذا كان علم الـكلام يهتم من ناحية بمسـائل العقيـدة كاثبات وجود الله وصفاته ، والأنبياء ومعجزاتهم ، والمعاد وما يتعلق به من الثواب والعقاب فى الآخرة ، فاننا نجـد من ناحية أخـرى فى علم الـكلام فلسفة وضحت معالمها فى بحوث المتكلمين أخص منهم بالذكر المعتزلة والاشاعرة ، وان اختلفت مواقعهما ازاء المشكلات التى عالجوها · فالمعتزله هم واضعوا علم الكلام ، تميزوا باتجاه عقلى واضح ، قرروا حرية الاختيار لدى الانسان، دارت بحوثهم حول المشكلات الخاصة بوجود الله ، صلته بالعالم ، وعلاقة الانسان بالكون ، وهى ما عرض لها أعلامهم كالعلاف والنظام ·

اما الأشاعرة فهى مدرسـة وقفت موقفـا وسطا بين السلف والمعتزلة وحاولت التوفيق بين المنقول والمعقول ، فنجحت فى محـاولتها دون أن تقيم

ما يعد جديدا او مبتكرا شاركوا المعتزلة فى الاهتمام بالموضوعات الفلسفية ، وان عالجوها فى الأعم الأغلب على ضوء الكتاب والسنه·ومن أشهر أعلامهم الامام الغزالى وفخر الدين الرازى فكلاهما عد بحق فيلسوفا ومتكلما فى آن واحد ، وقد تخيرت منهم فى هذه الدراسة : أبو الحسن الأشعرى واضع المذهب والامام الغزالى ·

ودراستنا هذه وان مهدت لها بالتعريف بعلم الكلام ، وتحديد مجاله وبيان صلته بالفلسفة ، وتوضيح الفرق بينهما ، فانها تدور حول الآراء الكلامية والفلسفية فى مذاهب المتكلمين ، وهى ما عرضت لها من خلال الحديث عن منهجهم وآرائهم ، وبعض المشكلات التى عالجوها·ومن أبرز الفرق الكلامية التى تناولتها الدراسة : المعتزلة ، الاشاعرة ، الخوارج والشيعة وكان ذلك على النحو التالى :

دار حديثى فى التمهيد حول علاقة علم الكلام بالفلسفة والفرق بينهما ، وكذلك الفرق بين علم الكلام وعلم الفقه ، وقد استعنت فى بيان ذلك بأقوال الباحثين الثقاه أمثال الغزالى والايجى وابن خلدون والامام محمد عبده·

أما الفصل الأول فقد خصصته لبيان تسميات وتعريفات علم الكلام ·

وحاولت فى الفصل الثانى أن أتتبع التطور التاريخى لعلم الكلام ليكون ذلك عونا لنا على معرفة نشأة الفرق الاسلامية وبداية ظهورها ·

وفى الفصل الثالث كان الحديث عن المعتزلة ، وحاولت فى هذا الفصل أن اقدم فكرة مجملة عن هذه الفرقة منهجها وأهم آرائها وأبرز شخصياتها وأصولها التى قامت عليها ·

والأمر كذلك مع الأشاعرة ففى الفصل الرابع عرفت بهم وبمنهجهم وأهم اتجاهاتهم وآرائهم ، وعرضت للعديد من أفكارهم من خلال بعض ممثليهم وفى الفصل الخامس تعرضت للحديث عن فرقه الخوارج ، فبعد تعريفى لهم

وحديثى عن فرقهم ومنهجهم وارائهم عرضت لنظريتهم فى الامامه خاصة وأن هذه المشكلة كانت هى السبب فى خروجهم على الامام على رضى الله عنه أما الفصل السادس والأخير فكان للشيعة ، فعرفت بها ، وحاولت أن اوضح نشأتها وبداية ظهوها وأهم فرقها ، والأسس التى تقوم عليها مذاهبها ٠

وقد عمدت الى أن أختتم حديثى عن كل فرقه بالوقوف موقفا تحليلا نقديا ازاء ما قدمته لنا من آراء كلامية وفلسفية وانى لأرجو أن أكون قد وفقت فى محاولتى هذه ، وأن يكون عرضى لهذه النماذج من الفرق الكلامية قد حقق الغاية المرجوه منه ، وأن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات أخرى فى علم الكلام ومذاهب المتكلمين نحاول فيها الوقوف على المصادر الأجنبية فى آرائهم الكلامية ٠

والله ولى التوفيق

مرفت عزت بالى

تمهيــــد : ـ

قبل أن نعرض لتعريفات علم الـكلام ، أود أن أوضح أن لعلم الكلام علاقة وثيقة بالفلسفة ، فقد اصطبغ بها وتأثر بمشـكلاتها الى حـد كبير ، فاختلطت مسائل علم الكلام بالفلسفة ، لذا لا نعجب اذا وجـدنا الى جانب البحث فى أصول العقائد ، البحث فى طبائع الموجودات ، هذا ما أشار اليه الغزالى فى المنقذ من الضلال» ، والايجى فى «المواقف» وأكده ابن خلدون فى «مقدمته» ٠

أما عن السبب فى خلط مسائل علم الـكلام بالفلسفة فيرده الامام محمد عبده الى اعجاب مفكرى الاسلام بالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أفلاطون وأرسطو ، ودخولهم فى المنازعات القائمة بين علماء الدين ، غير أن خوضهم فى العلوم الدينية كان سببا فى انتقادهم من قبل المدافعين عن الاسلام هذا ما يوضحه الامام محمد عبده حين يقول : «لكن يظهر أن أمرين غلبا على غالبهم ـ يقصد المسلمين ـ (الأول) الاعجاب بما نقل اليهم عن فلاسفة اليونان خصوصا عن أرسطو وأفلاطون ، ووجد أن اللذة فى تقليدها لبادىء الأمـر (والثانى) الشهوة الغالبة على الناس فى ذلك الوقت وهو أشأم الأمرين ، زجوا بأنفسهم فى المنـازعات التى كانت قائمـة بين أهل النظر فى الدين ، واصطدموا بعلومهم فى قلة عددهم مع ما انطبعت عليه نفوس العامة،فمال حماه العقائد عليهم ، وجاء الغزالى ومن على طريقته فأخذوا جميع ماوجد فى كتب الفلاسفة ، مما يتعلق بالالهيات ، وما يتصل بها من الأمور العامة بالكلام يمس شيئا من مبانى الدين ، واشتدوا فى نقده ، وبالغ المتأخرون منهم فى تأثرهم حتى كاد يصل بهم السير الى ما وراء الاعتدال» (١) ٠

---

(١) محمد عبده : رسالة التوحيد ، ص ١٦ ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح طبعة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م ، الغزالى : المنقذ من الضلال ص ٦ ـ ٧ ، طبعة ١٣٠٩هـ ٠

على أن هذا الأخذ والتأثر من جانب علم الكلام بالفلسفة لا يعنى اتفاقهما بالكلية ، فان لكل منهما موضوعه ومنهجه الخاص فى معالجة المشاكل ، هذا ماذهب اليه كثير من الباحثين ، ومنهم ابن خلدون (٢) الذى يفرق بين المتكلم والفيلسوف على أساس أن الأول يستدل بالكائنات وأحوالها على وجود الله وصفاته ، بينما الثانى (أى الفيلسوف) يعنى بدراسة الطبيعة ، والجسم الطبيعى من هذه الكائنات التى ينظر فيها المتكلم غير أن نظرة الفيلسوف اليها غير تلك الخاصة بالمتكلم ، فالفيلسوف ينظر الى الجسم من حيث الحركة والسكون ، ويعنى بالوجود المطلق ، بينما المتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وهو الله .

ويمكن أن نتبين الفرق بين الفلسفة وعلم الكلام من ناحية الموضوع والمنهج اذا علمنا أن أهم ما يشغل علماء الكلام من الاسلاميين هو : وجود الله ووحدانيته وعدله والثواب والعقاب والبعث ، وهم يتخذون العقيدة الاسلامية، كما وردت فى القرآن الكريم أساسا متينا يستندون اليه فيما يعرض اليهم من مسائل ، ويعملون على تأييدها بالحجة العقلية . يقول الايجىء موضحا علم الكلام :

«موضوعه هو ذات الله تعالى ، اذ يبحث فيه عن صفاته وافعاله فى الدنيا كحدوث العالم ، وفى الآخره كالحشر وأحكامه فيها كبعث الرسل ، ونصب الامام ، واذ تدور هذه المسائل وغيرها حول الله ، سمى هذا العلم بعلم التوحيد ، أو علم التوحيد والصفات ، وقد سمى أيضا علم أصول الدين لأنه يتعلق بالاحكام الأصلية أو الاعتقادية فى مقابل علم الفقه الذى يتعلق بالأحكام الفرعية أو العملية (٣) .

---

(٢) انظر المقدمة ، ص ٤٣٠ ، طبعة الشعب (بدون تاريخ) .

(٣) الايجى : المواقف ، الموقف الأول فى المقدمات ، ص ٧ ، عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) .

ويجمل ابن خلدون القول فى موضوع علم الكلام فيقول : «فموضوع علم الكلام فيقول : «فموضوع علم الكلام عند أهله ، وانما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحه من الشرع ، من حيث يمكن ان يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد» (٤) ٠

واهم العقائد الدينية او اصول الدين هى : التوحيد والنبوة والمعاد أو بالأحرى الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتدور هذه المسائل جميعا حول الله ذاتا وصفات وافعال (٥) ٠

اما الفلاسفة فموضوع بحثهم هو الانسان والكون والنظر في مبادىء الوجود وعلله ومنهجهم هو البرهان العقلي ٠

وعن الفرق بين علم الكلام والفلسفة من حيث الغاية ، يقول طاشى كبرى زاده : «وقيل موضوعه - أى علم الكلام - الوجود من حيث هو وجود ، وانما يمتاز عن العلم الالهى الباحث عن أصول الوجود المطلق باعتباره الغاية ، لأن البحث فى الكلام على قواعد الشرع ، وفى الالهى على مقتضى العقول٠فالمتكلم يستند الى ما جاء به الدين من اعتقادات ثم يلتمس الحجج العقلية التى تدعمها٠اما الفيلسوف فيبحث بعقله ويرى حقا ما توصل اليه بالدليل دون نظر الى ما جاء به الدين٠فالمتكلم يعتقد ثم يستدل اما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد» (٦) ٠

وهناك أيضا أختلاف بين علم الكلام وعلم الفقه ٠ فعلم الكلام هو العلم

---

(٤) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٠ ، طبعة الشعب ٠

(٥) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ، وانظر أيضا د٠ أحمد محمود صبحى : فى علم الكلام ، ص ٢ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٨ ٠

(٦) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ٢ ص٢٠، مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن - الهند ٠

الباحث فى الأحكام الاعتقادية كالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخرة ، والقدر خيره وشره ، بينما علم الفقه هو العلم الباحث فى الأحكام الشرعية العملية على اختلافها كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والزروع والبيوع ٠ وقد أوضح أبى نصر الفارابى الفرق بين علم الكلام وعلم الفقه فقال :

«صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الانسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة ، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل ٠ وهذه الصناعة تنقسم جزءين ايضا : جزء فى الآراء وجزء فى الأفعال وهى (أى صناعة الكلام) غير الفقه : لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال التى صرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها أصولاً فيستنبط منها الأشياء اللازمة عنها ٠ والمتكلم ينصر الأشياء التى يستعملها الفقيه اصولا من غير ان يستنبط منها أشياء اخرى ٠ فاذا اتفق ان يكون لانسان ما قدرة على الأمرين جميعا ، فهو فقيه متكلم ، فتكون نصرته لها بما هو متكلم ، واستنباطه عنها بما هو فقيه»(٧) ٠

وعلى نحو ما بين الفارابى فى تفرقته بين علم الكلام وعلم الفقه ، فالكلام منه مايتعلق بالآراء ، ومنه مايتعلق بالأفعال ٠ واذا كان عمل المتكلم ينصب على الأصول الشرعية بدراسة ما فيها من آراء وأفعال ، فان عمل الفقيه هو الاجتهاد باستنباط الأشياء اللازمة عن الآراء والأفعال ٠ والوارده فى الشرع ٠

وانا نرى أن علم الكلام وان اختلف عن الفلسفة فى الموضوع والمنهج والغاية ، فليس معنى ذلك وجود حد فاصل بينهما ، ففى مسائل علم الكلام آراء فلسفية ذات قوة وعمق تلمسها بوضوح فى الموضوعات التى عالجتها

---

(٧) الفارابى : احصاء العلوم ، حققه وقدم له وعلق عليه د٠ عثمان أمين ، ١٣١ ، ١٣٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية (بدون تاريخ) ٠

بعض الفرق خاصة المعتزلة ، فقد تعرضت للبحث فى الجواهر والأعراض ، الطبيعة ، العالم ، والانسان ، وكلها مسائل فلسفية اصيلة ، ولكن لم يمنع ذلك المتكلمين من الاقتراب منها ومحاولة ابداء الرأى فيها وفقا للأحكام الشرعية ٠

وفيما يتعلق بعلم الكلام وعلم الفقه ، واختلاف الآراء بشأنهما ، فكلاهما يبحث فى أمور الدين من الزاوية التى تخصه ، فعلم الكلام يبحث فى الدعائم أو الأصول التى بنى عليها الاسلام وهى الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر٠ولا يكتمل اسلام المرء الا اذا عمل بما ورد فى الشرع من اصول،وهذا مايقوم عليه البحث فى علم الفقه ، فمنه نتعرف على أحكام العبادات والمعاملات ٠ اذن فعلم الكلام وعلم الفقه وان أختلفا فى مجال البحث ، فكلاهما يكمل الآخر ، وهما اساس الشريعة ، وبمعرفتنا الصحيحة لأحكامهما يصح الاعتقاد ٠

من هنا كانت مكانة علم الكلام بين مباحث الفلسفة الاسلامية من جهة ، وبين علوم الدين من جهة اخرى ٠

الفصل الأول

علم الكلام بين التسمية والتعريف

ويتضمن هذا الفصـــل العناصر التالية : ـ

أولا : تسمياته وتعريفاته .

ثانيا : السبب في تسميته بعلم الكلام .

علم الكلام بين التسمية والتعريف

أولا : تسميات وتعريفات علم الـكلام :

لعلم الكلام تسميات وتعريفات كثيرة وردت على لسان العلماء والفلاسفة فمن تسمياته (١) انه علم النظر والاستدلال ، وعلم التوحيد والصفات ، وسمى أيضا باصول الدين ، «والفقه الأكبر» ٠

أما تعريفات علم الكلام فنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : ــ

تعريف السيد الشريف على بن محمد الجرجانى لعلم الكلام بأنه «علم باحث عن أمور يعلم منها المعـاد وما يتعلق به من الجنـة والنار والصراط والميزان والثواب والعقاب ، وقيل الكلام هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة» (٢) ٠

ــ ويعرف أبو حيان التوحيدى علم الكلام مبينا الفرق بينه وبين علم الفقه فيقول : «وأما علم الكلام فانه من باب الاعتبار فى أصول الدين يدور النظر فيه على محض العقـل فى التحسين والتقبيـح والاحـاله والتصحيح والايجاب والتجويز والاقتدار والتعديل والتجويز والتوحيد والتفكير ٠ والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق يتفرد العقل به ، وبين جليل يفزع الى كتاب الله تعالى فيه ٠ ثم التفاوت فى ذلك بين المتحلين به على مقاديرهم فى البحث والتنقير والكفر والتحبير والجدل والمناظرة والبيان والمناضلة ، والظفر بينهم بالحق

---

(١) راجع التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، وأنظر أيضا الشيخ مصطفى عبد الرزاق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٦٥ ٠

(٢) الجـرجانى : التعـريفات ، ص ١٦٢ ــ ١٦٣ ، مكتبة ومطبعـة مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨ ٠

سجال ولهم عليه مكر ومجال ، انه مجاور لباب الفقه والكلام فيهما مشترك وأن كان بينهما أنفصال وتباين ، فان الشركة واقعة والأدلة فيهما متضارعة. ألا ترى أن الباحث عن العالم قدمه وحدوثه وامتداده وانقراضه يشاور العقل ويخدمه ويستضيء به ويستفهمه . كذلك الناظر فى العبد الجانى هل هو مشابه للمال فيرد اليه ، أو مشابه للحر فيجمل به ، فهو يخدم العقل ويستضيء به» (٣) .

ويعرف الشيخ محمد عبده علم الكلام مبينا موضوع بحثه فيقول : «التوحيد علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفاته ما يجوز أن يوصف به وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لاثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه ، وما يجوز أن ينسب اليهم ، وما يمتنع أن يلحق بهم» (٤) .

أما سعد الدين التفتازانى فيعرف علم الكلام موضحا موضوعه ، غايته ، ومنفعته فيقول : «الكلام هو العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، وموضوعه المعلوم من حيث يتعلق به اثباتها ، ومسائلة القضايا النظرية الشرعية الاعتقادية ، وغايته تحلية الايمان بالايقان ، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ، ونجاة المعاد ، فهو أشرف العلوم.والمتقدمون على أن موضوعه الموجود من حيث هو.ويتميز عن الالهى بكون البحث فيه على قانون الاسلام، أى ما علم قطعا من الدين كصدور الكثرة عن الواحد ونزول الملك من السماء، وكون العالم محفوفا بالعدم والفناء ، الى غير ذلك مما تجزم به الملة دون

---

(٣) أبو حيان التوحيدى : رسالة «ثمرات العلوم» ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣، مطبوعة بذيل «كتاب الأدب والانشاء فى الصداقة والصديق»،المطبعة الشرقية، مصر ١٣٢٣هـ .

(٤) رسالة التوحيد ، ص ٥ (مقدمات) مطبعة محمد على صبيح ، مصر ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

الفلسفة ، لا ماهو الحق ، ولو ادعاء لنشاركه الفلسفة كـكلام المخالف ٠٠وقيل موضوعه ذات الله وحده أو مع ذات المكنات من حيث استنادها اليه لما أنه يبحث عن ذلك ، ولهذا يعرف بالعلم الباحث عن أحوال الصانع من صفاته الثبوتية والسلبية ، وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة ، أو عن أحوال الواجب وأحوال المكنات فى المبدأ والمعاد على قانون الاسلام» (٥) ٠

ويبين الغزالى مقصود علم الـكلام فيقول : «وانما مقصوده حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش أهل البدعة ٠ فقد القى الله تعالى الى عبادة على لسان رسوله عقيدة هى الحق على مافيه صلاح دينهم ودنياهم ، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار ، ثم القى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمور مخالفة للسنة ، فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة الحق على أهلها ، فانشأ الله تعالى طائفة المتكلمين ، وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة» (٦) ٠

ومن تعريفات علم الكلام التى تبين السبب فى نشأته ، تعريف ابن خلدون الذى يقول فيه «علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعه المنحرفين فى الاعتقـادات على مذاهب السلف وأهل السنة» (٧) ٠

وكما لاحظنا ، فان تعريفات علم الكلام كثيرة ومتنوعة ، لم تقتصر على بيان ظروف نشأته وموضوعه وحسب ، وانما تعدته الى توضيح غايته والفرق بينه وبين علوم أخرى كعلم الفقه ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على

---

(٥) سعد الدين التفتازانى : المقاصد ، وانظر أيضـا الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٦٢، القاهرة ١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م ٠

(٦) الغزالى : المنقذ من الضلال ، ص ٦ ـ ٧ ، مصر ١٣٠٩هـ ٠

(٧) انظر المقدمة ، ص ٤٢٣ ، طبعة دار الشعب ٠

اهمية التعريف فى أى علم من العلوم ، فالتعريف كما يقول Lalande (٨)
ضرورى للعقل اى لعملياته ، ولعملية التفكير المنعكس لدى الانسان ، ومع
ذلك فالعقل هو أيضا أكثر ضرورة للتعريف ٠

وبالجملة نستطيع أن نقول ان علم الكلام علم من العلوم الشرعية
الاعتقادية المصطبغة بصبغة نظرية ، يدور البحث فيه حول المعرفة والتوحيد،
ويثبت العقائد الدينية ويدافع عنها ضد الآراء المخالفة لها ٠

(٨) Lalande (André) : Vocabulaire technique et critique de la philosophie, Paris 1960, p. 992.

ثانيا : سبب تسميته بعلم الـكلام : -

لفظ كلم يعنى ناظر او جادل ، ولفظ الـكلام ، كما يقول الشهرستانى، اصبح أصطلاحا فنيا في عهد المأمون. يقـول دي بور «ان الأقوال التي كانت تصاغ كتابة أو شفاها على نمط منطقى أو جـدلى تسمى عنـد العـرب فى الجملة ، وخصوصا فى معالجة المسائل الاعتقادية «كلاما» ، وكان أصحابه هذه الأقوال يسمون متكلمين ، وقد انتقل اللفظ ، لفظ الـكلام من استعماله فى الدلالة علي مقـاله مفـرده الى استعماله في الدلالة علي جمـلة مذاهب المتكلمين ، وعلى ما يعتبر أصولا لها ومقدمات » (١) .

ولـما كان علم الـكلام هو العلم الباحث فى الأحـكام الاعتقادية ، فقد سميت مباحث الاعتقاديات بعلم التوحيد او علم الكلام ، وقد تنوعت الأقوال فى بيان السبب فى تسميته بهذا الاسم ، نذكـر منها ، ماذهب اليه الشيخ محمد عبده فى «رسالة التوحيد» حين قال : «اصل معنى التوحيد اعتقاد ان الله واحد لا شريك له ، وسمى هذا الاسم به تسميه له بأهم أجزائه ، وهو اثبات الوحدة لله في الذات والفعل فى خلقه الأكوان ، وأنه وحده مرجع كل كون ، ومنتهى كل قصد ، وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثه النبى صلى الله عليه وسلم ، كما تشهد به آيات الكتاب العزيز . وقد يسمي علم الكلام ، اما لأن اشهر مسائله وقع فيها الخـلاف بين علماء القـرون الأولى هى ان كلام الله المتلو حادث أو قديم. واما لأن مبناه الدليل العقلى ، وأثره يظهر من كل متكلم فى كلامه ، وقلما يرجع فيه الى النقل ، اللهم الا بعـد تقرير الأصول الأولى ثم الانتقال منها الى ماهو أشبه بالفرع عنها ، وان كان اصلا لما ياتى بعدها . وأما لأنه فى بيان طرق الإستدلال على اصول

---

(١) دى بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام،ترجمة د. محمد عبد الهادى ابو ريده ، ص ٩٥ مكتبة النهضة المصرية ط ٥ (بدون تاريخ) .

الدين أشبه بالمنطق فى تبيينه مسالك الحجة فى علوم أهل النظر ، وأبدل المنطق بالكلام للتفرقة بينهما» (٢) ٠

وقيل أيضا أن السبب فى تسمية علم الكلام بهذا الاسم ، لأنه يورث قدرة على الكلام فى الشرعيات كالمنطق فى الفلسفيات ، أو لأنه كثر فيه الكلام مع المخالفين مالم يكثر فى غيره ، أو لأن المتكلمين أرادوا مقابلة الفلاسفة فى تسميتهم فنا من فنون علمهم بالمنطق ، والمنطق والكلام مترادفان ، أو لأنه بقوة أدلته كأنه صار هو الكلام دون ما عداه ، كما يقول فى الأقوى من الكلاميين : هذا هو الكلام»(٧)٠والى قريب من هذا الرأى يذهب عضد الدين الايجى الى القول : «وانما سمى الكلام اما لأنه بازاء المنطق للفلاسفة ، واما لأن أبوابه عنونت أولا بالكلام فى كذا ، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيه التشاجر والسفك فغلب عليه ، أو لأنه يورث قدرة على الكلام فى الشرعيات ومع الخصم» (٤) ٠

وفى رأى الشيخ مصطفى عبد الرازق أنه سمى البحث فى الشئون الاعتقادية كلاما ، وسمى أهله متكلمين لأحد وجهين : أولهما يؤخذ مما رواه جلال الدين السيوطى فى كتابه «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» وهو مخطوط بدار الكتب الأزهرية «وأخرج عن مالك (رضى الله عنه المتوفى سنة ١٧٩هـ ، ٧٩٥م) قال : اياكم والبدع ٠ قيل : يا أبا عبد الله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه

---

(٢) انظر رسالة التوحيد ص ٥ ٠

(٣) عبد الرازق الاهيجى : شوارق الالهام فى شرح تجريد الكلام، ص٤ طبع طهران ، وراجع مادة كلام فى دائرة المعارف الاسلامية ، والملل والنحل للشهرستانى ص ١٨ طبعة ليبتزج ١٩٢٣ ، ابن خلدون : المقدمة ، فصل علم الكلام ص ٤٢٣ ــ ٤٣١ ، طبعة دار الشعب ٠

(٤) الايجى : المواقف ، ص ٨ ، ٩ عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) ٠

وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان» ٠
اما الثانى ٠ فيؤخذ مما نقله ابن عبد البر فى كتاب «مختصر جامع بيان العلم وفضله» : «وعن مصعب بن عبد الله الزبيرى قال : كان مالك بن انس يقول : الكلام فى الدين اكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، وينهون عنه، نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وما أشبه ذلك ، ولا احب الكلام الا فيما تحته عمل» (٥) ٠

يتبين لنا مما سبق ، أن السبب فى تسمية علم الـكلام بهذا الاسم راجع الى اختصاصه بشؤون الاعتقادات ، ولما كان كلام المتـكلمين لفظى نظرى لا يتعلق به فعل فقد سمى علمهم باسم الكلام ٠

( ) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ ٠

الفصل الثانى

التطور التاريخى لعلم الـكلام

التطور التاريخى لعلم الـكلام

أعود فأكرر القول أن علم الكلام هو العلم الباحث فى الأحكام الاعتقادية أو أصول الدين٠ الذى بعث الله به رسولنا محمد(ص) قد بينها سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم معلله بأدلتها العقلية والسمعية وهى : ربوبيته ووحدانيته تعالى ، أسمائه وصفاته ، نبوة الأنبياء ودلائلها ، الثواب والعقاب ، والمعاد ، والقدر خيره وشره ٠

وفى محاولتنا لمعرفة كيف نشأ الـكلام وتطور الى أن أصبح علما ، سنرجـع الى السلف من الصحابه لنعـرف كيف كان موقفهم من البحث فى العقائد ٠

يجيبنا ابن خلدون عن هذا التساؤل فيقول : فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه ، وقضوا بأن الآيات من كلام الله ، فأمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل٠وهذا معنى قول الكثير منهم «اقرءوها كما جاءت» ، أى آمنوا بها بأنها من عند الله،ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء ، فيجب الوقوف والاذعان له»(١) ٠فالمسلمون فى الصدر الأول للاسلام ، عولوا على النقل دون العقل فى تقريرهم للعقائد الايمانية ، وحجتهم فى ذلك أن التناظر والتجادل فى الاعتقاد يؤدى الى الانسلاخ من الدين٠أضف الى ذلك أنهم كانوا متحققين بالايمان علما وحالا ، فهم أول من نهـل من أنوار النبوة ، وسـعد بصحبة رسول الله (ص) فـكفاهم ردا على كل ما استشـكل عليهم من أمور دينهم ودنياهم ، اذن فلم تكن بالمسلمين حاجة الى البحث الجدلى العقلى فى أمور الدين ، فهم كما يقول ، طاش كبرى زاده ، «أدركـو زمـان الوحى وشرف

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨ ، طبعة دار الشعب ٠

صحبة صاحبه ، وازال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام» (٢)·ولعل هذا ما اشار اليه الامام مالك بن انس حين قال : «قال اياكم والدبع·قيل يا ابا عبد الله ، وما البدع ؟ قال : أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان» (٣) ·

وهنا قد أجد من يتساءل قائلا : كيف تتفق دعوة القرآن الى اصطناع الجدل فى تبليغ الدعوة ، ودعوته للانسان الى النظر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض مع موقف السلف من المسلمين ؟

يقول المغفور له الشيخ مصطفى عبد الرزاق ردا على هذا التساؤل : «ومهما يكن فى القرآن من تعرض للجدل ، ومن دعوة الى الجدل برفق عند الحاجة ، فى مثل قوله : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين» (٤) ، فان القرآن ليس كتابا جدليا ، ولم تقم دعوته الى الايمان على جدال (٥)·وقولنا بأن المسلمين الأوائل كانوا يقرون ويسلمون بالعقائد الدينية ، ولا يجادلون فيها لا يعنى ابتعادهم عن النظر والتأمل فى آيات الله، بل كانوا دائمى النظر والتفكر في بديع صنع الله ، فكان نظرهم عبره ، وتفكرهم ذكرا ·

---

(٢) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة جـ٢ ص ٣٢ ، مصطفى عبد الرزق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٧٢ ، د· ابو الوفا التفتازانى · علم الكلام وبعض مشكلاته ص ١١ ·

(٣) د· يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، ص ٨٠ ، دار الثقافة للطباعة والنشر (بدون تاريخ) ·

(٤) سورة النحل ، مكيه ، آية ١٢٥ ·

(٥) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٧٢ ·

اما عن بداية نشأة علم الكلام فيردها ابن خلدون الى ما حدث - بعد ذلك - من خلاف فى تفاصيل العقائد الايمانية المشار اليها آنفا ٠ وأكثر مثارها من الآى المتشابهة مما دعا الى الخصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة الى النقل (٦) ٠ فالقرآن الكريم الى جانب اشتماله على العقائد الايمانية التى لا يصح اسلام المرء بدونها يشتمل أيضا على ذكر العقائد المخالفة لها ، وعلى الأدلة الداحضة لها ٠ فكان ذلك كما يقول الاستاذ الدكتور/أبو الوفا التفتازانى من العوامل الهامة التى أنهضت بعض عقول المسلمين الى البحث فى العقائد أو كيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة لها (٧) ٠

والى جانب ما ورد فى القرآن الكريم من آيات التنزيه المطلق الواجبة الاعتقاد ، مثل قوله «ليس كمثله شىء» (سورة الشورى آية ١١) ، توجد آيات توحى بالتشبيه والتجسيم ، مثل قوله تعالى «يد الله فوق أيديهم» (سورة الفتح ، آية ١٠) ، وقوله تعالى «الرحمن على العرش استوى» (سورة طه ، آية ٥) وغيرها كثير من الآيات التى توهم بالتشبيه مرة فى الذات ومرة فى الصفات ٠

وأغلب الخلاف الذى وقع بين المسلمين كان فى فروع الأحكام لا فى أصول العقائد (٨) وقد بدأت هذه الخلافات عقب وفاة النبى (ص) ٠ اختلف المسلمون فى وفاته ، فقال قوم منهم أنه لم يمت ولكنه رفع كما رفع عيسى بن مريم ٠ وانتهى خلافهم وأقر الجميع بموته حين تلا عليهم أبو بكر الصديق قول الله لرسوله عليه السلام : «انك ميت وانهم ميتون» (سورة الروم ، آية ٣٠) ٠ وقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ٠ ومن كان يعبد رب محمد فانه حى لا يموت ٠

---

(٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٧ ٠

(٧) د٠ أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٧ ٠

(٨) الامام محمد عبده : رسالة التوحيد ، ص ٨ ٠

ـ كما اختلفوا فى موضع دفنه (ص) ، وزال هذا الخلاف بعد أن روى لهم أبو بكر الصديق عن النبى (ص) : ان الأنبياء يدفنون حيث يقبضون ، فدفنوه فى حجرته بالمدينة (٩) ٠

ـ وفى عهد أبى بكر اختلف المسلمون فى قتال مانع الزكاة أو أهل الرده ، واختلفوا أيضا وقت وفاته لتخصيصه (أى أبى بكر) لعمر بالخلافة٠ ثم اختلفوا على بيعة عثمان ، واختلفوا أيضا فى قتله ، كما اختلفوا على بيعه على رضى الله عنه ، ثم حدث الخلاف الذى أدى الى وقعة الجمل وهو بين على من جهة ، وطلحه والزبير وعائشة من جهة أخرى٠وكذلك الخلاف بين على ومعاوية ، والذى انتهى بثبات الأمر لمعاوية٠وظهر من ذلك خلاف الخوارج الذى كان من جرائه أن قتل على بيد أحدهم ، فانتهى بذلك عهد الخلفاء الراشدين ، وذلك فى عام ٤٠هـ (١٠) ٠

أما أكبر مظاهر الخلاف التى حدثت من وفاة النبى الى ختام عهد أبى بكر وأيام عمر فهو اختلاف المسلمين فى الامامه (١١) وهى المسألة السياسية الكبرى التى تباحث فيها الشيعة وأهل السنة (١٢) ، وان كان لكل منهما رأيه فى هذا الموضوع ، فالامامه عند الشيعة من أصول العقائد الاسلامية ، بينما هى عند أهل السنة ليست داخله فى العقيدة،يقول ابن خلدون

---

(٩) الامام أبى الحسن الأشعرى : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين، جـ١ ص ٢ ، تصحيح هـ٠ ريتر ، أسطنبول ، عبد القاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ١٤ ، ١٥ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة (بدون تاريخ(٠

(١٠) الشيخ مصطفى عبد الرازق : المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٥، د٠ التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ١٤ ـ ١٥ ، رسالة التوحيد ص ٩ ـ ١٠ ٠

(١١) أبو الحسن الأشعرى : المصدر نفسه ، جـ١ ص٢ ، جـ٢ ص٣ ، وانظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٨٤ ٠

(١٢) الخلافة عند أهل السنة ليست داخلة فى العقيدة ، ومع ذلك فان المتأخرين من متكلميهم قد ادرجوا البحث فيها فى كتبهم ٠

موضحا هذا المعنى : «والحق بذلك (أى الحق بمسائل علم الكلام) الكلام فى الامامه لما ظهر حينئذ من بدعه الامامية من قولهم انها من عقائد الايمان ، وأنه وجب على النبى تعيينها ...وقصارى أمر الامامه أنها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد» (١٣) .

هكذا كان الخلاف السياسى الدائر حول مسألة الامامه عاملا هاما ساعد على نشأة علم الكلام وتطوره ، فمسألة الامامه أو الخلافة كانت سببا فى الحروب بين المسلمين اذ ذهب البعض الى القول بأن الامامة تثبت بالنص والتعيين ، وذهب البعض الآخر الى القول بانها بالاتفاق والاختيار ، وانتهى الأمر فى هذه الحروب الى تولى الأمويين مقاليد الأمور فى الدولة الاسلامية، ولكن بعد أن تركت بصماتها على بناء الجماعة ، وفى ذلك يقول الامام محمد عبده : «.. غير أن بناء الجماعة قد انصدع (من جراء حروب المسلمين) ، وانقصمت عرى الوحدة بينهم ، وتفرقت بهم المذاهب فى الخلافة ، وأخذ الأحزاب في تأييد آرائهم كل ينصر رأيه على راى خصمه بالقول والعمل ، وكانت نشأة الاختراع فى الرواية والتأويل ، وغلا كل قبيل ، فافترق الناس الى شيعة وخوارج ومعتدلين» (١٤) .

اما كلمة امام بمعنى القائد الأعلى للجماعة الاسلامية فلم تظهر الا بعد وفاة النبى (ص) (١٥) .

يتبين لنا فما سبق ، ان اختلاف الأمة فى الراى حول مسألة الامامه كانت سببا فى انقسام المسلمين الى عدة فرق ، حاولت كل منها أن تتسلح

---

(١٣) انظر المقدمة ، ص ٤٢٩ .

(١٤) الامام محمد عبده : رسالة التوحيد ص ١٠

(١٥) The Encyclo Paedia & Islam, new edition, p. 1163, vol III

بالحجج المدعمة لرأيها والمدحضة لرأى الفرقة المخالفة لها ، متخذة من الأدلة العقلية الى جانب الأدلة النقلية وسيلة الى بلوغ هدفها ، فكان البحث فى المسائل الاعتقادية على نحو جدلى ، وفيها افترق المسلمون فرقا ، وعلى أيدى هذه الفرق وخصوصا المعتزلة ظهر علم الكلام · يقول موسى بن ميمون وهو يؤرخ لهذا العلم : «وان أول ابتداء الاسلام بهذه الطريقة (أى بعلم الكلام) فرقة وهم المعتزلة» (١٦) ·

وعلم الكلام وان نشأ على يد واصل بن عطاء من المعتزلة ، فانه قد نشأ ايضا على يد ابى الحسن الأشعرى من مذهب اهل السنة·يقول طاش كبرى زاده محددا زمن ظهور الكلام فى هاتين الفرقتين : «فاعلم أن مبدأ شيوع الكلام كان بأيدى المعتزلة والقدرية فى حدود المائة من الهجرة·وقد ثبت فى التواريخ الصحاح أن احياء طريقة السنة والجماعة كان فى حدود الثلثمائة من الهجرة ، لأن ظهور الاعتزال كان جهة واصل بن عطاء ، وكانت وفاته فى احدى وثلاثين ومائة ، وولادته فى سنة ثمانين ، فيصير زمان طلب العلم وقدرته على الاجتهاد فى حدود المائة تقريبا · وظهر ايضا مذهب اهل السنة والجماعة بالسعى الجميل والاقدار المشهور من جهة أبى الحسن الاشعرى فى حدود الثلثمائة ، اذ كانت ولادته سنة ستين ومائتين ، ودام على الاعتزال اربعين سنة ، فيكون علم الكلام بأيدى المعتزلة مائة سنة مابين المائة والثلثمائة» (١٧) ··

ونظرا لوضع المعتزلة بالبحث والاطلاع على كتب الفلاسفة ، وميلهم الى البحث العقلى والاعتماد على أساليب الجدل والمنطق ، فقد كثر انصارهم ،

---

(١٦) انظر دلالة الحائرين،جـ١ ص ٩٤ ، وانظر ايضا د·يحيى هويدى: دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، ص ١٠١ ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ط٢ ، القاهرة (بدون تاريخ) ·

(١٧) انظر مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، جـ٢ ص ٣٧ ·

وأصبح مذهبهم هو المذهب السائد من بين المذاهب الكلامية ، ولكن ليس معنى هذا أن المتكلمين هم المعتزلة فقط ، اذ أن لفظه متكلمين أصبح يطلق فيمابعد، كما يقول دى بور (١٨) ، على كل الذين بحثوا فى العقائد سواء من المعتزلة أو أهل السنة أو غيرهم ٠

ومع أن المعتزلة قد خلطوا بمعارف الدين مالا ينطبق حتى على أصل من أصول النظر فقد أيدتهم الدولة العباسية ، وكان تأييدها هذا دافعا لعلماء المعتزلة وأن يؤلفوا الكتب ، فتصدى لهم المتمسكون بمذاهب السلف ، دون أن يكون لهم سند من الحكام

وتذكر لنا كتب التواريخ (١٩) انه فى صدر عهد العباسيين نشطت حركة الترجمة وظهر التدوين ، وألفت الكتب فى علم الكلام : فألف واصل بن عطاء كتاب «المنزلة بين المنزلتين» ، وكتاب «التوحيد» ، وكتاب «الفتيا» ، كما ألفت كتب فى العقائد لأهل السنة مثل «الفقه الأكبر» للشافعى ، وكتاب «العالم والمتعلم» ، و«الفقه الأكبر» لأبى حنيفه النعمان ٠

بدأ الأخذ والرد فى الكلام عندما ألف المتكلمون فى التنزيه ، وحدثت بدعه المعتزلة ، كما يقول ابن خلدون، فى تعميم هذا التنزيه فى آى السلوب، فقضوا بنفى صفات المعانى من العلم والقدرة والحياة زائدة على أحكامها ، وقضوا بنفى الكلام لشبه ما فى السمع والبصر ، ولم يعقلوا صفة الكلام التى تقوم بالنفس فقضوا بأن القرآن مخلوق ، وذلك بدعه صرح السلف بخلافها ، وعظم ضرر هـذه البدعه ولقنها بعض الخلفـاء عن أئمتهم فحمل

---

(١٨) انظر كتابه تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ٩٦ ٠

(١٩) راجع الخطط للمقريزى جـ٤ ص ١٨٠ ـ ١٨٧ ، الفهرست لابن النديم ٠

النص عليها وخالفها ائمة السلف (٢٠)٠

وكرد فعل مباشر لما ذهب اليه المعتزلة ، بدأ الأشعرى بكتبه فى الرد عليهم ، وأخذ فى مجادلتهم اعتمادا على العقل والنقل فنفى التشبيه ، واثبت الصفات المعنوية ، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف ، ورد على المبتدعة ، وتكلم معهم حول فكرة التحسين والتقبيح ، واحوال الجنة والنار ، والثواب والعقاب ، وقبل أن يتحول عن مذهب الاعتزال ، تناظر مع أستاذه ابى على الجبائى - احد ائمة المعتزلة - حول فكرة الصلاح والاصلح (٢١)٠

ومما يذكر للأشعرى ، انه بدأ أول ما بدأ فى طوره الثانى بعد أن ترك الاعتزال مقتصدا فى علم الكلام ، مقتصدا فى مجادلة الخصوم ٠

كان لاطلاع المتكلمين من المسلمين على المنطق اليونانى والفلسفة اليونانية - اثر نقلهما الى العربية بتشجيع بعض الخلفاء من العباسيين مثل المنصور والرشيد والمأمون أبلغ الأثر فى توجه اهل الفرق الى الاعتماد على العقل ، فاخذ الأشعرى فى مناضلة المبتدعة بالعقل أيضا حفاظا للسنة ، كما جاء أنصار مذهبه من بعده - كالقاضى ابو بكر الباقلانى ، وامام الحرمين الجوينى - يثبتون عقائدهم بالعقل تدعيما لها ومنعا لاثارة الشبه حولها ، ووضعوا المقدمات العقلية التى تتوقف عليها الأدلة والأنظار مثل : اثبات الجوهر الفرد ، الخلاء ، وأن العرض لا يقوم الا بالعرض ، وانه لا يبقى زمانين ، وجعلوا هذه القواعد تبعا للعقائد فى وجوب الايمان بها ، وأن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول وهى الطريقة المسماه بطريقة المتقدمين، تمييزا لها عن طريقة المتأخرين من أتباع مذهب الأشعرى الذين ميزوا المنطق

---

(٢٠) المقدمة ، ص ٤٢٨ - ٤٢٩ ٠

(٢١) انظر تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٩٠ ، المقدمة ص ٤٢٩ ٠

عن الفلسفة وراعوا في استدلالاتهم ومناظراتهم قواعده ، وقرروا ان بطلان الدليل لا يؤذن ببطلان المدلول الذي يمكن ان يثبت بدليل آخر (٢٢) ٠

ولا يفوتنا ا ن نذكر أيضا ، أن مما ساعد على نشأة علم الكلام : التقاء الاسلام بديانات وحضارات الأمم المفتوحة ٠ فقد حدث تقارب واتصال بين المسلمين وأهل الديانات السماوية كاليهود والنصارى ، وكانت لهم عناية بالجدل في العقائد ، وولع بالعلم والفلسفة ٠ وبالرغم من اتفاق المسلمين مع أهل الكتاب في الاقرار بالتوحيد ، وبنزول الكتب من عند الله ، وبالنبوة ، وآيات الأنبياء ، الا أن اختلافهم في تفصيلات العقائد كان سببا في قيام الصراع بين عقائد الاسلام وعقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى٠ أضف الى ذلك أن بعض من أسلم من اليهود كعبد الله بن سبأ ، قد أثار شبهات التشبيه والتجسيم ، وبعض من أسلم من المسيحين كغيلان الدمشقي ، أثار شبهات عقائدية حول القدر ٠ كما ظهر صراع بين عقائد المسلمين وأهل الكتاب وعقائد الفرس الوثنية ٠ وبالرغم من اسلامهم واعتماد بعض الخلفاء العباسيين عليهم،الا أن آراءهم الالحادية التي أعلنوها دلت على أنهم مازالوا على وثنيتهم الأولى قبل اسلامهم ، اذ كانوا يدينون بالمجوسية والزرادشتية والمانوية ٠

وقد ترتب على وجود هذه الصراعات العقائدية أن ظهرت حاجة المسلمين الى الاطلاع على المنطق اليوناني للاستعانة به في الرد على مخالفيهم من أهل الكتاب،وأهل الديانات الأخرى،فكان ذلك كله،كما يقول د٠ التفتازاني ، من الأسباب التي دعت الى وجود علم الكلام باعتباره العلم المدافع عن العقائد الاسلامية بالحجج العقلية (٢٣) ٠

---

(٢٢) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ٠

(٢٣) د٠ التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ١٩ ـ ٢٣٠

تلك كانت صورة مختصرة للتطور التاريخى لعلم الكلام ، تبين لنا فيها انه لم ينشأ دفعة واحدة ، فبدأ فى النصف الأول من القرن الأول للهجرة في صورة خلافات متفرقة ، ثم اخذ فى تنسيقها وتنظيمها الى أن اضحت في أوائل القرن الثالث علما له منهجه وموضوعه الخاص ٠

اما العوامل (٢٤) التى ساعدت على نشأة علم الكلام ، فتنقسم الى قسمين : عوامل داخلية ، واخرى خارجية ٠ تمثلت العوامل الداخلية فى الخلاف حول تأويل بعض النصوص وقرآنية ، والخلاف السياسى الدائر حول مسألة الامامه ٠ اما العوامل الخارجية فنعنى بها اتصال المسلمين بديانات وحضارات اخرى ، وكذلك حركة الترجمة ابان العصر العباسى ، والتى تعتبر عاملا هاما من العوامل التى أدت الى ازدهار علم الكلام وتعميق مباحثه ، وتحديد مشكلاته ٠

---

(٢٤) المصدر السابق ، ص ٦ ـ ٢٨ ، وراجع د٠ احمد محمود صبحى : فى علم الكلام ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية فى اصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ١٩٧٨ ٠

الفصل الثالث

المعـــتزلة

ويتضمن هذا الفصل العناصر الآتية : ـ

أولا : تعريفهم ٠

ثانيا : منهجهم وأهم آراؤهم (الكلامية والفلسفية) ٠

ثالثا : بعض شخصيات المعتزلة ٠

١ ـ واصل بن عطاء ٠

٢ ـ أبو الهذيل العلاف ٠

٣ ـ معمر بن عباد السلمي ٠

رابعا : الأصول الخمسة للمعتزلة ٠

الأصل الأول : التوحيد ٠

الأصل الثاني : العـدل ٠

الأصل الثالث : الوعد والوعيد ٠

الأصل الرابع : المنزلة بين المنزلتين ٠

الأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر٠

خامسا : تحليل ونقد ٠

المعـــتزلة

قبل أن نعرض لنماذج من فرق المتـكلمين ، أود أن أنوه الى ان مسألة الخلافة أو الامامة كانت أهم مسألة اشتد فيها الخلاف بين المتكلمين ، وتكون حولها أهم الفرق من شيعة وخوارج ومرجئه ، وهذا يعنى أن الفرق الدينية قامت فى أغلبها على أساس سياسى ، وهى تعتبر المهد الأول لعلم الكلام ٠

أما أهم الفرق أو الجماعات التى أسهمت الى حد كبير فى تكوين علم الـكلام فهى السلف والمعتزلة والأشاعرة ٠ وقد تطور الأمر بهـذه الفرق ، وعن طريق السياسة انتقلت الى البحث فى علم العقائد أو أصول الدين ، وأصبح فى كل فرقة من يعبر عن آرائها ٠

سنركز الآن حديثنا على فرقة المعتزلة :

أولا : تعريفهم : ـ المعتزلة طـائفة من المتـكلمين هم خلفـاء للقدرية القائلين بحرية الاختيار من ناحية ، والجهمية رواد مذهب التأويل العقلى من ناحية أخرى ـ يتسمى المعتزلة بأصحاب العدل والتوحيد وهم ست فرق(١)٠ توصف مدرستها بأنها من أخصب المدارس العقلية فى الاسلام فكرا ورجالا ، عالجت العديد من المسائل معالجة فلسفية وتعرضت لدراسة مباحث مختلفة كالطبيعة وما بعـد الطبيعـة والسياسة والأخـلاق ٠

غلب النظـر فى الأخـلاق فى الفلسـفة الطبيعية على مذهب المعتزلة الأولين ، بينما غلب على مذهب المتأخرين منهم النظر فى المشكلات الميتافيزيقية الممتزجة بالمنطق،وهنا يظهر تأثرهم بمذهب الأفلاطونية المحدثة (٢)٠وابتكرت

---

(١) الخـوارزمى : مفـاتيح العلوم ، ص ١٨ ، ١٩ ، مكتبة الـكليات الأزهرية ط٢ ، ١٩٨١ ٠

(٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية،ص ١١٣٠

المعتزلة حلولا جديدة للعديد من المشاكل التى عالجتها كالكمون والطفرة(٣) والتولد ، وبصفة عامة تنصب فلسفتها على الله والانسان والكون(٤) ٠

تاريخ المعتزلة كفرقة كلامية يبدأ فى أواخر عهد الأمويين ، فعاش تحت حكمهم رعيلها الأول بقيادة واصل بن عطاء ، مؤسس مذهب المعتزلة ٠ وقد نال هذا المذهب تأييد الخلفاء العباسيين من أيام المأمون الى عهد المتوكل حتى جعلوه عقيدة الدولة ٠

بدأت المعتزلة فى البصره ، ثم امتد فرع منهم الى بغداد ، وأسهموا فى اشعال محنة خلق القرآن ، وكان ذلك قبل وفاة المأمون بأربعة اشهر وقد ركز اعلامهم على هذه المسألة وجعلوها شرطا لصحة العقيدة ، وفارقا بين الايمان والكفر ، التوحيد والشرك ٠ والمعتزلة عقلانيون ، والاسلام فى رأيهم يتركز فى الاعتقاد بخلق القرآن ، وقد الحوا على تسمية القرآن بالمخلوق ، لأن الله فى رأيهم هو وحده القديم ، وما عداه فهو محدث مخلوق ، وحيث أن الله خير فلا يمكن ان يفعل الشر (٥) ٠ وقد حملوا المأمون بن الرشيد العباسى على حمل المسلمين على هذه العقيدة ، وأمروا باقصاء كل من لايدين بها أو يخالفها ، وامتحانه وتعذيبه ، فما كان منه الا أن أرسل كتابا الى والى بغداد «اسحاق بن ابراهيم» ذكر فيه : ان خليفة المسلمين واجب عليه حفظ الدين

---

(٣) الكمون والطفرة من آراء النظام الطبيعية لمعرفة المزيد عنهما راجع د٠ عبد الهادى أبو ريده : ابراهيم بن سيار النظام وآراء الكلامية والفلسفية، والفلسفية ، ص ١٢٩ ـ ١٣١ ، ١٤٠ ـ ١٥٧ ، دار النديم للصحافة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٨٩ ٠

(٤) د٠ ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٣٦ ، د٠ التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٤٤ ، د٠ على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، الجزء الأول ص ٣٧٣ ٠

(٥) John Alden Williams. Islam, New york, 1961, p. 224.

حفظ الدين ، واقامته والعمل بالحق فى الرعية وأن المنكرين لخلق القرآن ، والقائلين بقدمه «شر الأمة ورؤوس الضلالة ، المنقوصون من التوحيد...» وأحق من يتهم فى صدقه ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فانه لا عمل الا بعـد يقين ، ولا يقين الا بعـد استـكمال حقيقة الاسـلام ، واخلاص التوحيد ، وأمره بجمع الناس وامتحانهم فى هذه العقيدة ، وعزل كل من لا يوافق عليها ولا يدين بها (٦) .

تلك كانت محنة عظيمة على الأمة الاسلامية ، زاد من حدتها أن المعتزلة فرضت على العامة فرضا الاعتقاد بها ، والاذعان لها مع عدم قدرتهم على استيعابها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فان عقل المعتزلة ، كما يقول الأستاذ احمد أمين «كان عقلا حادا ، جافا فلسفيا ، واضعف نقطة فيه» أنه يراد أن يفرض على العـامة فرضـا ، يراد أن تكون الأمة فلاسـفة تعرف الجوهر والعرض ، والكمية والكيفية ، والمحدود واللا محدود ، والوحـدة والتعدد ، والمكان والجهة (٧) .

جمـلة القول المعتزلة هم واضـعوا علم الـكلام ، شغلوا بالعـديد من مسائلة نحو قرن ونصف قرن ، وقدموا لنا دراسات جاده ومبتكرة فى العديد من المجالات ، ويعتبروا أول المفكرين الاسلاميين الذين حاولوا اقامة منهج متكامل للالهيات والانطولوجيا (مبحث الوجود) وعلم العالم (الكسمولوجيا)، علم النفس ، الأخـلاق والسياسة ، ولخصـوا منهجهم فى خمسة مبـادىء كبرى (٨) ، وهى ما عرفت بالأصول الخمسة .

---

(٦) أبو الحسن الندوى : الامـام الممتحن أحمد بن حنبـل ، ص ١٤، المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٧) ضحى الاسلام ج٣ ص ١٣ ، الندوى : أحمد بن حنبل ص ١٥ .

(٨) Albert N. Nadir: Le Système Philosophique des Mu'tazila, 1956, c. 1, p. 14.

وقد نظر الى المعتزلة كما يقول مونتجمرى وات ، كأول حركة قامت بشأن الهجوم الضار للفكر اليونانى ضد الاسلام ، ثم تصدى لها الأشعرى ، وكان الماتريدى معاصرها الحنفى يعمل من أجل غاية مماثلة فى الشرق الأقصى فى سمرقند (٩) ٠

اما عن نشأة المعتزلة وتسميتها فقد تعددت الآراء فى تفسيرها (١٠)،لعل اشهرها ماذكره البغدادى فى كتابه«الفرق بين الفرق» ومؤداه أن المعتزلة سموا كذلك لأن واصل بن عطاء كان تلميذا للحسن البصرى ، وقد حدث بينه وبين أستاذه خلاف حول مسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ، وعلى اثر هذا الخلاف طرد الحسن البصرى واصل من مجلسه ، وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس يومئذ فيهما أنهما اعتزلا قول الأمة ، وسمى أتباعهما من يومئذ معتزلة (١١) ٠

وهناك تفسير آخر يرد نشأة المعتزلة الى تلك الخلافات والصراعات التى قسمت المسلمين حول موضوع الخلافة أو الامامه ، فكان لابد أن تقوم بينهم جماعة تعزل الفتنة وتعزل الكل ، لا يحاربون مع على ولا يحاربون ضده ، وهؤلاء هم المعتزلة ، هذا ما يوضحه الملطى حين يقول : «والطائفة السادسة من مخالفى أهل القبلة هم المعتزلة ، وهم أرباب الكلام ، وأصحاب الجدل والتمييز والنظر والاستنباط ، والحجج على من خالفهم ، وأنواع الكلام ، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل ، والمنصفون فى مناظرة الخصوم ، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد ، لا يفارقونه ، وعليه يقولون وبه يتعادون ، وانما اختلفوا فى الفروع وهم سموا انفسهم

---

(٩) W. Montgomery Watt: What is Islam; 1968, c. 2, 163.

(١٠) انظر فى ذلك المنيه والأمل ، ص ٤ ٠

(١١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٣٧٤ ، الشهرستانى : الملل والنحل ، جا ص ٤٨ ، القاهرة ١٩٦١ ٠

معتزلة ، وذلك عندما بايع الحسن ومعاوية وجميع الناس ، وذلك أنهم كانوا من أصحـــاب على ، ولزموا منـــازلهم ومساجـــدهم وقالوا : نشتغل بالعلم والعبادة ، فسموا بذلك معتزلة» (١٢) ٠

يضاف الى هذه التفسيرات ما ذهب اليه نلينو فى بحوثه القيمة عن المعتزلة وأصل تسميتها ، وهو أن المعتزلة الأولون اختـــاروا هـــذا الاسم ، أو على الأقل تقبلوه بمعنى «المحايدين» أو الذين لا ينصرون أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة والخوارج) على الآخر فى مسألة الفاسق٠وفى رأيه أيضا أن اسم المعتزلة قد أخــــذ عن لغة السياسة فى ذلك العصر ، فــكان المعتزلة الجدد المتكلمون فى الأصل استمرارا فى ميدان الفكر والنظر للمعتزلة السياسيين أو العمليين (١٣) ٠

والرأى عندنا ، انه ليس من اليسير أن نفصل نشأة المعتزلة عن الجو السياسى الذى أحيطت به ، فالصراعات والآراء السياسية التى انتشرت فى العصر الأموى وما تلاه حول الامامه ، ومسألة مرتكب الكبيرة ، كان لهـــا أثرها البين فى نشأة هذه الفرقة ٠

---

(١٢) الملطى : التنبيه فى الرد على أهل الأهواء والبدع ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ، استانبول ١٨٣٦م ، د٠ التفتازانى : علم الــكلام وبعض مشــكلاته ، ص ٤٥ ـ ٤٦ ٠

(١٣) نلينو : بحوث فى المعتزلة ، ص ٩١ ، (ضمن كتاب د٠عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) ٠

ثانيا : منهجهم وأهم آراؤهم (الكلامية والفلسفية) : ـ

لعـل من أبرز السـمات المميزة للمعتزلة ، انهم اقاموا مذهبهم على النظر العقلى·ومع ايمانهم الشديد بالعقل ، فهم لا ينكرون النقل ، ولكنهم لا يترددون فى أن يخضعوه لحـكم العقل·ويقررون «أن الفكر قبل السمع»· وقد امتد غلوهم فى استعمال العقل أن طبقوا قوانينه على المسائل الالهية كما طبقوها على المسائل الخاصـة بالانسان والطبيعة مما ادى بهم الى القول بآراء لا تخلو من جرأه (١) · وهم يرفضون الأحاديث التى لايقرها العقل ، ويؤولون المتشابه من الآيات القرآنية أى الآيات التى تفيد أن لله وجها وعينا كقوله تعـالى : «ويبقى وجـه ربك ذو الجـلال والاكرام»·فهم يؤولون الوجه بانه هو الله نفسه · وقوله تعالى «وتجرى بأعيننا» تعنى عندهم بعلم منا·اما الاستواء كما فى قوله تعالى : «الرحمن على العرش استوى» فمعناه عنـد المتعزلة «الاستيلاء» · والفـوقية فى قوله «يخـافون من فوقهم» تعنى العلو والرتبة (٢) ·

ـ يقول المعتزلة بحرية الرأى لهم ولمعارضيهم ، فلا يمنع عندهم أن يعارض الابن اباه ، والتلميذ أستاذه · ولقد ترتب على تقديسهم لحرية الرأى أن بلغ الأمر بأبناء الأسرة الواحدة أن اتهم بعضهم بعضا بالكفر·والمعتزلة وان اتفقوا على الأصول الخمسة ، فانهم يختلفون ويتناقضون فى العـديد من التفاصيل (٣) ·

ومن آراء المعتزلة : القول بالاختيار · فالانسان عندهم لابد أن يكون

---

(١) د· ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية ، جـ٢ ص ٣٧ ·

(٢) د· يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية، ص ١١٣ ·

(٣) د· ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية ، جـ٢ ص ٣٨ ·

خالقا لأفعال نفسه (٤) · والهدف من القول بالاختيار عند المعتزلة مزدوج ، فبالاختيار يثبتوا ان الانسان مسئول محاسب على افعاله ، وبالاختيار أيضا يقيموا الحجة على عدل الله ، وأنه لا يمكن أن تصدر عنه مباشرة معاصى الانسان ·

ـ اهتم المعتزلة بمشكلة الصفات ، وعنوا عناية خاصة بسبع منها وهى: العلم والحياة ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع والبصر·وقالوا بصفات ذات وصفات افعال·وعند بحثهم فى حقيقة الصفة ، وهل هى عين الذات أو هى أمر زائد على الذات ، وجدوا أن هناك صفات ايجابية لفظا ومعنى كالقدرة والارادة ، بالاضافة الى الصفات السلبية معنى ولفظا مثل مخالفة الحوادث ·

ـ اهتم المعتزلة بالبرهنة على وجود الله ، وتعتمد فكرة الألوهية عندهم على أمرين : التنزيه والتوحيد · واجمعوا على أن فعل العبد غير مخلوق فيه·واجمعوا على تولى الصحابة ، واختلفوا فى عثمان بعد الأحداث التى أحدثها،فأكثرهم تولاه·وأكثرهم على البراءة من معاوية وعمر بن العاص(٥)·

ـ العالم فى رأى المعتزلة حادث أى له بداية وله نهاية ، وكل حادث لابد له من محدث وهو قديم ، قادر ، عالم ، حى لا لمعان ، ليس بجسم ولا عرض ولا جوهر عينا واحدا لا يدرك بحاسة ، عدلا حكيما لايفعل القبيح ولا يريده (٦) ·

ـ الطبيعة فى رأى المعتزلة ، شأن كل شىء فى الوجود من مخلوقات الله ومن مبدعات حكمته ، وكما أن قدرة الله المطلقة يقيدها فى الأفعال

(٤) الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٣٠ ، طبعة ليبتزج ١٩٢٣ ·
(٥) ابن المرتضى : المنيه والأمل ص ٦ ·
(٦) المصدر السابق ، نفس الصفحة ·

تنزهه عن الشر أو عدله . فهنا تقيدها حكمته ٠

ـ الشر عند المعتزلة ليس مفعولا لله ولا مرادا ، وعللوا وجوده فى العالم بأنه من آثار الحكمة الالهية لأنها ترمى الى الأصلح فى كل شىء ٠

ـ الامامه فى رأى المعتزلة بالاتفاق والاختيار وليست بالنص والتعين، ولعل مايؤيد ذلك قول المسعودى فى «مروج الذهب» : كانت المعتزلة وغيرها من الطوائف تذهب الى الامامة اختيار من الأمة ، وذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه ، ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا اجتمع المسلمون عندهم على رجل معين ، وأن اختيار ذلك مفوض الى الأمة تختار رجلا منها يتفذ فيها احكامه» (٧) ٠

ومن أهم شروط المعتزلة فى الامامة ، أن يكون الامام قائما بالكتاب والسنة ، مؤمنا عادلا٠أما شرط القرشية ، فلم يتقيدوا به ، كما فعل غيرهم من الفرق ، وحجتهم فى ذلك بعض الأدلة النقلية مثل قوله تعالى «ان أكرمكم عند الله أتقاكم» ٠

وبالجملة ، فالمعتزلة يعتدون بالعقل الاعتداد كله ، ويرون أن الأشياء يمكن معرفتها اما بالحس أو بالنظر العقلى ، ويقدمون العقل على النقل ، فما يوجبه العقل فهو واجب ، وما يقبحه فهو قبيح ، وما يحسنه فهو حسن٠ والحسن والقبيح لازمان لذات الشىء قبل ورود السمع ، ولكن العقل والسمع أو النظر والوحى يتفقان ٠ يقول النظام : «ان المفكر اذا كان عاقلا متمكنا من النظر وجب عليه تحصيل معرفة البارى بالنظر والاستدلال قبل ورود السمع» (٨) ٠

والمعتزلة يقولون بخلق القرآن ، وينزهون الله تنزيها مطلقا ، ويجمعون

---

(٧) المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص ٢٣٦ ، القاهرة ١٩٥٩م ٠
(٨) الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ٦٥ ٠

على التسليم بعدم امكان رؤية الله بالعين يوم القيامة لأن الرؤية كما يقولون، لا تكون الا للألوان والصور لتعرفنا ماهو مادى ، ومن اهم مبادئهم التى يلتقون حولها : الأصول الخمسة وهى ما سنفصل القول فيها بعد قليل .

(٩) . Albert N. Nadir : Le Système Philosophique du Mu'Tazila, 1956, c. 1, p. 114.

ثالثا ـ بعض شخصيات المعتزلة : ـ

يجدر بنا قبل أن نعرض لأصول المعتزلة الخمسة ، أن نتعرف على بعض شخصيات المعتزلة التى بلورت أفكار هذه الفرقة ، وميزتها بسمات خاصة٠ومن خلال حديثنا عن هذه الشخصيات سيكتمل عرضنا لآراء المعتزلة ، نذكر من بينهم : واصل بن عطاء ، وأبو الهذيل العلاف ، ومعمر بن عباد السلمى٠

١ ـ واصل بن عطاء : ـ

مؤسس فرقة المعتزلة وشيخها الأول هو واصل بن عطاء،قال المبرد ويكنى بأبو حذيفة ويلقب بالغزال ، ولعل السبب فى ذلك كما يقول ابن خلكان ، أنه كان يلازم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن(١)٠ أو لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبد الله مولى قطين الهلالى ، كما يذكر صاحب معجم الأدباء (٢) ٠

ولد فى المدينة عام ٨١هـ ، وفيها تلقى تعليمه على يد أبى هاشم عبد الله بن الحنفية بن على بن أبى طالب ، الذى أنشأ مكتبا للعلم لدراسة شئون المسلمين العامة ٠ وحين اكتمل علم واصل انتقل من المدينة الى البصرة ، وبدأ يتردد ـ هو وصديقه عمرو بن عبيد ـ على مدرسة الحسن البصرى ، فأخذ عنه الفقه ، وعرف مذهب القدر ٠

أول من أحدث مذهب الاعتزال هو الامام أبا هاشم وأخاه الامام الحسن بن محمد بن الحنفية٠اما ظهور الاعتزال واشتهاره فكان على يد واصل بن عطاء (٣) الذى كان له أكبر الأثر فى ارساء قواعد الاعتزال ،

---

(١) ابن المرتضى : المنيه والأمل ، ص ٩٧ ص ١٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ص ٨٩ ٠

(٢) د٠ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام،جـ١ ص ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ط١ ، ١٩٨١ ٠

(٣) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ص ٣٤ ، جـ٢ ص٣٥٠

ساعده على ذلك كونه متكلما بليغا ، وخطيبا ضليعا . يقول الذهبى فى ميزان الاعتدال : «واصل بن عطاء البصرى ، الغزال ، المتكلم ، البليغ المتشدق ... سمع من الحسن البصرى وغيره» (٤) . وعن طريق المدرسة المعتزلية ، بدأ واصل بن عطاء ، يرسل بعوثه الى مختلف انحاء العالم شرقا وغربا شمالا . وجنوبا . ينشر الاسلام أولا ، ثم ليدعو المسلمين الى مذهب الاعتزال . فمن تلاميذه من ذهب الى الكوفه والبصرة ، ومنهم من ذهب الى اليمن والجزيرة ، ومنهم من ذهب الى خراسان وأرمنيه (٥) .

وقد ترك واصل بن عطاء العديد من المؤلفات ذكرها ابن النديم فى الفهرست (٦) ، والقاضى عبد الجبار فى كتابه «طبقات المعتزلة» نذكر منها : كتاب «المنزلة بين المنزلتين» ، كتاب «السبيل الى معرفة الحق» ، كتاب «معانى القرآن» ، كتاب «التسوية» ، كتاب «الألف مسألة فى الرد على المانوية» ، كتاب «طبقات أهل العلم» ، وكتاب «الخطب فى العدل والتوحيد» . وقد أودع واصل بن عطاء فى هذه المؤلفات جملة آرائه ، لعل أهمها : قوله بالمنزلة بين المنزلتين فى مسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أم كافر ، وقد أراد واصل بقوله يتوسط بين المنزلين أن يتوسط النزاع الدائر بين المسلمين بخاصة بين الخوارج القائلين بأن مرتكب الكبيرة علاوة على فسقه ، فهو كافر يخلد فى النار ، وبين أهل السنة القائلين بأن مرتكب الكبيرة مؤمن لعقده الصحيح ، فاسق عاصى بعمله ، وهذا يعنى أن فسق الانسان فى رأيهم لاينفى عنه اسم الاسلام والايمان .

وقد حل واصل بن عطاء هذه المسألة بقوله : ان الفسق فى منزله بين

---

(٤) الذهبى : ميزان الاعتدال ، جـ٢ ص ٦٢٩ ، جـ٤ ص ٣٢٩ .
(٥) انظر ابن المرتضى : المنيه والأمل ، ص ١٩ ، ٢٠ ، د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، جـ١ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ .
(٦) انظر الفهرست ص ٢٥١ .

المنزلتين ، بين الكفر والايمان ، وبالتالى فالفاسق لا مؤمن ولا كافر ولكنه عاد الى رأى الخوارج حين وافقهم على خلود صاحب الكبيرة فى النار ، وقد أشار الى ذلك الاسفرايينى ، وكذلك البغدادى الذى يقول مؤكدا هذا المعنى : «ثم أن واصلا وعمرا (أى عمرو بن عبيد صديق واصل) وافقا الخوارج فى تأييد عقاب صاحب الكبيرة فى النار ، مع قولهما بانه موحد ، وليس بمشرك ولا كافر ، ولهذا قيل للمعتزلة أنهم مخانيث الخوارج ، لأن الخوارج لما رأوا لأهل الذنوب الخلود فى النار سموهم كفرة ، وحاربوهم ، والمعتزلة رات لهم الخلود فى النار،ولم تجسر على تسميتهم كفره ، ولا جرت على قتال أهل فرقة منهم فضلا عن قتال جمهور مخالفيهم» (٧) ٠

ومن آرائه أيضا ما ذكره حين اختلف الخوارج وأهل السنه فى أمر على واصحابه وفى طلحه والزبير وعائشة وسائر أصحاب الجمل ٠فبينما زعمت الخوارج أن طلحه والزبير وعائشة واتباعهم يوم الجمل كفروا بقتالهم عليا ، وأن عليا كان على الحق فى قتال أصحاب الجمل ، وفى قتال أصحاب معاوية بصفين الى وقت التحكيم ثم كفر بالتحكيم،قال أهل السنة بصحة اسلام الفريقين فى حرب الجمل ، وأن عليا كان على الحق فى قتالهم ، وأصحاب الجمل كانوا عصاه مخطئين فى قتال على ، ولم يكن خطؤهم كفرا ولا فسقا يسقط شهادتهم ، وأجازوا الحكم بشهادة عدلين من كل فرقة من الفريقين ٠

وقد خرج واصل عن قول الفريقين ، وزعم أن فرقة من الفريقين فسقه لا بأعيانهم ، وأنه لا يعرف الفسقه منهما (٨) ، فكأنه بهذا الرأى قد أراد أن يعلق الحكم ، وأن يهرب من تحديد أى الفريقين فاسق ٠

ـ ومما يذكر عن واصل : قوله بنفى الصفات ، وهو ماعبر عنه

---

(٧) البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ١١٩ ٠

(٨) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ ٠

الشهرستانى حين قال : «القول بنفى صفات البارى تعالى من العلم والقدرة والارادة والحياة ، وكانت هذه المقالة فى بدئها غير نضيجة ، وكان واصل بن عطاء يشرع فيها على قول ظاهر وهو الاتفاق على امتناع وجود الهين قديمين أزليين. قال : من اثبت معنى وصفه قديمة أثبت الهين»(٩) . ونظرية واصل بن عطاء وان كانت فى رأى ماكدونالد غامضة (١٠) فليس من المستبعد فليس من المستبعد أن يكون خوف من الشرك هو الذى دفعه الى القول بنفى الصفات ، هذا فضلا عن انكاره للمذهب الثنوى ، والقائلين به من تلاميذته الى خرسان وأرمنيه وغيرها من بلاد تنتشر فيها أديان الفرس القديمة

يضاف الى ما تقدم ، أن العقل فى رأى واصل هو مصدر المعرفة الدينية الى جانب القرآن والسنه والاجماع . أما حرية الارادة ، فقد اثبتها على أساس نفسى وعلى اعتبارات ترجع الى عدل الله والى طبيعة التكليف الخلقى والدينى . والقدر خيره وشره ليس من الله وحسب كالذى يعرض للانسان من الصحة والمرض ، وانما من الانسان أيضا وهو افعاله التى يقوم بها عن قصد وارادة (١١) .

٢ - ابو الهذيل العلاف : -

العلاف هو المؤسس الحقيقى لمدرسة المعتزلة فهو مقرر طريقتهم والمناظر عليها والذاب عنها كما يقول البغدادى ، وصفه ابن يزداد «صاحب المصابيح» بانه كان نسيج وحده وعالم دهرة ، ولم يتقدمه أحد من الموافقين له ولا من

---

(٩) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ٢ ص٦١ .

(١٠) Macdonald : Development of Muslim the Ology, New york, 1926, p. 135.

(١١) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية، ص١٠٦ .

المخالفين ، لقب بالعلاف لان داره بالبصره كانت فى العلافين (١٢)٠ أخذ الطريقة عن عثمان بن خالد الطويل عن واصل ٠

ولد بالبصرة ثم انتقل منها الى بغداد ، وعاش نحو قرن٠اختلف فى وفاته فقيل توفى سنة ٢٢٦هـ ، وقيل فى سنة ٢٣٥هـ ، وقيل فى سنة ٣٢٧هـ(١٣)٠

كان متكلما بارعا ، امتاز بسعة علمه وعمق تفكيره ، وقوة حجته ، قال المبرد: «مارأيت افصح من أبى الهذيل والجاحظ» (١٤)٠جادل الرافضة والثنوية يقول ابن المرتضى أن ابى الهذيل ناظر (صالح بن عبد القدوس) لما قال فى العالم انه من أصلين قديمين نور وظلمه وكانا متباثنين ، فامتزجا ، فقال ابو الهذيل فامتزاجهما اهو هما أم غيرهما قال بل اقول هو هما فالزمه ان يكونا ممتزجين متباثنين اذا لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع ذلك الا اليهما» (١٥)٠له ستون كتاب فى الرد على المخالفين ، واجتذب الى الاسلام بعض المعارضين ٠

عاصر حركة الترجمة ، واتصل بالعديد من الثقافات الأجنبية٠اهتم بفكرة الألوهية ، وتعمق فيها ، وعد أول من تعمق بين المسلمين فى تحليل هذه الفكرة وصياغتها صياغة فلسفية (١٦)٠وهو أيضا أول المفكرين الذين أفسحوا للفلسفة مجال للتأثير فى مذاهبهم الكلامية (١٧) ٠

---

(١٢) ابن المرتضى : المنيه والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل ، ص ٢٥، تصحيح توما أرنلد ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، بحيدر اباد الدكن ١٣١٦هـ ٠

(١٣) البغدادى : المصدر نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٢ ، المنيه الأمل ص٢٨٠

(١٤) المنيه والأمل ص ٢٦ ٠

(١٥) المرجع السابق ، ص ٢٧ ٠

(١٦) د٠ مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٤٠ ٠

(١٧) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية،ص ١٠٦٠

الله فى رأيه ليس بجسم ولا بذى هيئة ولا صورة (١٨) ، وهو سبحانه وتعالى عالم بعلم هو هو ، قادر بقدره هى هو ، حى بحياة هى هو» (١٩)٠ ويعمم ذلك فى الصفات الأخرى ، فلا فرق عنده بين الذات والصفة ، وهو ما انكره عليه ابن قتيبة الدنيورى لمخالفة هذا الرأى اجماع الناس والغلة(٢٠)٠

قسم كلام الله عز وجل الى قسمين : فهناك كلام يحتاج الى محل ، وكلام لايحتاج الى محل٠وزعم أن قول اللهسبحانه وتعالى للشىء «كن» حادث لا فى محل ، وسائر كلامه حادث فى جسم من الأجسام٠وهذا يعنى أن كلمة التكوين (أى قول الله للشىء : كن) هى فى مكان وسط بين الخالق سبحانه وتعالى وبين العالم المخلوق الحادث (٢١) ٠

وهو يفرق بين أفعال القلوب وأفعال الجوارح (٢٢) ، ويرى أن الانسان مكلف بايجاب الفطرة والعقل ، وقبل ورود الوحى ٠ بأن يعرف الله وأن يميز الحسن من القبيح ، وأن يقدم على الحسن كالصدق والعدل ويعرض عن القبيح كالكذب والجور (٢٣) ٠ وهو بقوله هذا وضع أساس فكرة الصلاح والأصلح ، فالله يفعل الأصلح دائما ، ويستطيع ما دونه ولكنه لا يفعله ، وما فى العالم من كذب وظلم وجور فهو من صنع الانسان (٢٤) كان من

---

(١٨) الخياط : كتاب الانتصار ، حققه وقدم له وعلق عليه د٠ نيبرج ص ٤٩ دار الندوة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٨ ٠

(١٩) البغدادى : المصدر نفسه ص١٢٧، الأشعرى : مقالات الاسلامين ، جـ١ ص ١٦٥ استانبول ١٩٢٩ ٠

(٢٠) انظر الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ، ص ٢٣ ، د٠ على مصطفى الغرابى : أبو الهذيل العلاف ، ص ١٢٤ ، مطبعة حجازى ط١ ١٩٤٩ ٠

(٢١) البغدادى : المصدر نفسه ١٢٧ ، الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ٠

(٢٢) البغدادى : المصدر نفسه ص ١٢٨ ٠

(٢٣) الملل والنحل ص ٣٦ ، دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ص ١٠٩ ٠

(٢٤) الملل والنحل جـ٢ ص ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ، لندن ١٨٤٦م ٠

نفاه القدر ، واتبع رأى الفلاسفة في نفى الصفات الوجودية لظهور مذاهبهم فى ذلك الوقت (٢٥) ٠

والمعارف فى رأى أبو هذيل العلاف ضربان : أحدهما بالوحى والآخر عن طريق الفطرة٠أما الدار الآخرة ، فليس فيها حركة ، لأن الحركة لما كان لها مبدأ فلابد أن تنتهى بانتهاء العالم حيث يرد عليه السكون الدائم(٢٦)٠ فكل شىء فيها راجع الى ارادة الله وحده ، فأهل الآخرة كما يقول العلاف، مضطرون الى ما يكون منهم ، وأهل الجنة مضطرون الى أكلهم وشربهم وجماعهم ، وأهل النار مضطرون الى أقوالهم ، وليس لأحد فى الآخرة من الخلق قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول ، والله عز وجل خالق أقوالهم وحركاتهم وسائر ما يوصفون به (٢٧) ٠

٣ ـ معمر بن عباد السلمي : ـ

مما يذكر عن معمر أنه كان عالما عدلا ، عاش فى حكم الرشيد ، وكان معاصرا للعلاف والنظام ، ومن تلاميذه بشر بن المعتمر ، وهشام بن عمر ، وأبو الحسين المداينى (٢٨)٠وتوفى عام ٢٢٠هـ ـ ٨٣٠م٠وهو شيخ أصحاب المعانى والمعانىفى رأيه ليست الا مجرد أمورا اعتبارية،وقد أحلها محلالصفات التى أمعن فى نفيه لها ، فأنكر صفات الله تعالى الأزلية كما أنكرها سائر المعتزلة ، لأن وجودها (الصفات) يتناقض مع ما يجب لذات الله من توحيد مطلق ، وهو ينزه الله عن جميع صور الكثرة ، فيرى أنه لا يعلم ذاته ولا يعلم غيره ، لأن هذا يؤدى الى التعدد فى ذاته (٢٩)٠كما لايجوز أن

---

(٢٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٣ ٠
(٢٦) الملل والنحل ، ص ٣٥ ، دى بور : المصدر نفسه ص ١٠٨ ٠
(٢٧) الفرق بين الفرق ، ص ١٢٤ ٠
(٢٨) ابن المرتضى : المنية والأمل ، ص ٣١ ـ ٣٢ ٠
(٢٩) الملل والنحل ، ص ٤٧ ـ ٤٨ ، الفرق بين الفرق ص ١٥٥ ٠

يقال فى الله «انه قديم» مع وصفه اياه بأنه موجود أزلى ، وأنكر قدره الله على خلق الأعراض تنزيها له عن المكان والحدوث (٣٠) ٠

زعم أن الله انما خلق الاجسام٠ثم ان الاجسام أحدثت الأعراض باعتبار أن كل ما سبق من حياة وموت وسمع وبصر ولون وطعم ورائحة ماهو الا عرض فى الجسم من فعل الجسم بطبعه٠والأصوات عنده فعل الاجسام المصوته بطباعها (٣١) ٠

والانسان فى رأيه : حى عالم قادر مختار ، وليس هو متحركا ولا ساكنا ولا متلونا ولا يرى ولا يلمس ، ولا يحل موضعا دون موضع ولا يحويه مكان دون مكان٠وللانسان نفس وجسد٠وفعل النفس هو الارادة ، بينما فعل الجسد هو الحركة والسكون ٠ والانسان مريد مختار٠والارادة هى فعله ٠ أما أفعاله الخارجية فهى من فعل الجسد (٣٢) ٠

وبالجملة فالانسان شىء غير هذا الجسد المحسوس (٣٣)،وهو بقوله هذا قد جاوز الحد فوصف الانسان بما يوصف الاله به ٠

يذكر البغدادى أن معمرا أنكر أن يكون القرآن فعلا لله تعالى أوصفه له ، وانما هو فى رأيه فعل الجسم الذى حل الكلام فيه (٣٤)٠بينما يقول الخياط «ان معمرا كان يزعم أن الله هو المكلم بالقرآن ، وأن القرآن قول الله وكلامه ووحيه وتنزيله ، لا مكلم له سواه ولا قائل له غيره ، وأن القرآن محدث لم يكن ثم كان» (٣٥) ٠

---

(٣٠) الخياط : الانتصار ، ص ٨٠ ـ ٨٢ ، د٠ ابراهيم مدكور فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٤٢ ٠

(٣١) الفرق بين الفرق ص ١٥٣ ، الانتصار ص ٨٠ ٠

(٣٢) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، والترجمة العربية ، ص ١١٤ ـ ١١٥ ٠

(٣٣) البغدادى : المصور نفسه ص ١٥٤ ، الخياط : الانتصار،ص٨١٠

(٣٤) البغدادى : المصدر نفسه ص ١٥٢ ، والبغدادى فى هذا القولكان متابعا لابن الراوندى خصم المعتزلة ٠

(٣١) الانتصار ، ص ٨٢ ٠

رابعا ـ الأصول الخمسة للمعتزلة : ـ

المعتزلة عشرون فرقة ، كما يقول البغدادى ، والملطى ، ولكنها اجتمعت على أصول معينة لا يفارقونها وعليها يتولون وبها يعادون وهى : ـ

١ ـ التوحيد ·

٢ ـ العـدل ·

٣ ـ الوعد والوعيد ·

٤ ـ المنزله بين المنزلتين ·

٥ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ·

وقد وضع المعتزلة فى الأصول الخمسة ، كما يقول الملطى ، العديد من الكتب على من خالفهم ، ويتبرأون ممن خالفهم فيها ، ولو كانوا من آبائهم أو اخوانهم أو عشيرتهم·وأن هذه الأصول الخمسة ملجؤهم وأصل مذهبهم مع اختلافهم فى الفروع ، وهم يتوالون عليها ، ويردون بها الفروع ، ويتفق فى هذا معتزلة بغداد ومعتزلة البصرة (١) ·

ظهر مصطلح الأصول الخمسة فى مدرسة واصل بن عطاء ، ثم وضح واكتمل عند أبى الهذيل العلاف الذى كتب فى الأصول الخمسة بعض فصول كتبه·وسنحاول الآن ان تتناول كل أصل من هذه الأصول بشىء من التوضيح·

الأصل الأول : التوحيد : ـ

لعل أول ما يتبادر الى أذهاننا هو السؤال عن معنى التوحيد عنـد المعتزلة · وللاجابة عن هذا التساؤل نقول : ان تصور المعتزلة للذات الالهية، وتنزيههم المطلق لله قد جعلهم يوحـدون بين الذات والصفات·اذن فالتوحيـد

---

(١) الملطى : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، ص ٤٢ طبعه الكوثرى ، د· على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، جـ١ ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ·

المقصود هنا هو التوحيد بين الذات الالهية والصفات كان هذا هو مجمل رأى المعتزلة فى هذا الأصل ، وتفصيله على النحو التالى :

يرتبط حديثنا عن التوحيد عند المعتزلة بالحديث عن مشكلة الصفات. ذلك لأن المعتزلة ، كما نعرف انما قامت للدفاع عن التنزيه تجاه أفكار المشبهه والمجسمة. فالله عند المعتزلة ، ليس بذى جهات ولا بذى يمين وشمال، وأمام وخلف ، وفوق وتحت. وهنا انكار للجهة والفوقية والعرشية ولغيرها من احاديث فسرها المجسمة والمشبهة ، كما يقول د. على سامى النشار ، وانه لا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ، وأنه لا يحصره المكان ، ولا تحويه الأخطار ، بل هو الذى لم يزل ولا له زمان ولا مكان ولا نهاية ولا حد(٢). ولا تجوز عليه المماسه ، ولا العزله والحلول فى الأماكن. فالله اذن قديم سرمدى ، لا يمارس العرش ولا غير العرش ، ولا يستقر عليه ولا على غيره، ولا محل له فى كون أو فى شخص انه منزه عن كل صفات المحدثين ، فلا يوصف بانه متناه ، ولا يوصف بمساحة ، ولا ذهاب فى الجهات ، وليس بمحدود ، ثم ينزه عن الشريك ، فهو «لا والد ولا مولود ، وتقدس عن ملامسه النساء ، وعن اتخاذ الصاحبه والأنبياء» (٣) .

ونظراً لوجود صفات بعينها اثبتها الله لنفسه فى بعض الآيات مثل قوله تعالى : «بل يداه مبسوطتان» وقوله «الرحمن على العرش استوى» ، وقوله وجاء ربك والملائكة صفا صفا» وقوله «لما خلقت بيدى». أقول نظراً لو رود مثل هذه الصفات فى القرآن الكريم ، فقد اتجهت بعض الفرق الاسلامية -

---

(٢) المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص ٣٥١ .

(٣) د. على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، جـ١ ص ٤٢٣ .

ما عمد السلف (٤) الى تأويل هـذه الآيات ، وقالوا بالتشبيه ، أى بتشبيه ماورد فى هذه الآيات من وجه ويدين ، وغيرها من صفات لله بنفس هذه الصفات عند الانسان ·ومن هـذه الفرق مشبهه أهل الحـديث والسنه وهم الجهميه ، ومشبهه الشيعة وهم الغلاه منهم ، وقد فصل الشهرستانى القول فى فرقة المشبهة فى كتابه «الملل والنحل» ، وكذلك فعل البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق ، فذكـر «ان أول ظهـور التشبيه صـادر عن أصناف من الروافض الغلاه (وهم الشيعة) ، وأن هشام بن الحكم الرافضى (وهو أحد متكلمى الشيعة) قد شبه معبوده بالانسان وزعم لأجل ذلك أنه سبعة أشبار بشبر نفسه ، وأنه جسم ذو حد ونهاية ، وأنه طويل ، عريض ، عميق ، وذو لون ، وطعم ورائحة ، وقد روى عنـه أن معبوده كسبيكه الفضـة ، وكاللؤلؤة المستديرة ، وروى عنـه أنه زعم أن الشـعاع من معبوده متصـل بما يراه» (٥) ·

لم ينته أمر مشكلة الصفات عند الفرق الاسلامية وحسب ، وانما امتد الى اليهود والنصارى · فتصور النصارى الله على أنه جوهر له اقانيم أو صفات يتقوم بها هى صفات الوجود والحياة والعلم·وقد ترتب على ذلك أن نظر الى هذه الصفات على انها أشخاص مستقلة عن الله ، مما أدى الى قولهم بوجود الهين ·

ازاء هـذا الموقف قام المعتزلة ، كما يقـول نيبرج (٦) ، يصـوغ العقائد الاسلامية على طريقتهم العقلية ، مقابله للثنوية الآخذين بالتجسـيم

---

(٤) مال السلف الى اثبات الصفات لله تعالى ، ولم يبحثوا وراء اللفظ الوارد فى القرآن عن تأويل بمعناه ، ووقفوا من قضية التأويل موقف التفويض والتسليم ·

(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٦٥–٦٩ ، ٢٢٧ ، الأشعرى : مقالات الاسلاميين ، جا ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٠٩–١١١ ، ١٢٦ ·

(٦) انظر مقدمة الانتصار للخياط ، ص ٥٨ ·

ثم مالبثوا أن اشتبكوا مع الملل والنحل من حولهم ، وبخاصة اليهود والمسيحية٠ولكى يحقق المعتزلة هدفهم فى صون العقيدة الاسلامية أكدوا على تنزيه الله ونفى أدنى مماثلة بينه وبين الانسان ، فنفوا الصفات ، ونظروا اليها على انها اعتبارات ذهنية عقلية تمثل وجوها مختلفة فى النظر الى الله ، ولا تدل بأى حال من الأحوالى على صفات قديمة بالذات٠وقالوا هو عالم لذاته ، قادر لذاته لا بعلم وقدرة وحيـاة ، فالصـفات لو شاركته فى القدم الذى هو أخص وصف له لشاركته فى الالهية (٧) ٠

الله عند المعتزلة ليس كمثله شىء ، ليس بجسم ولا شبح ولا صورة ، ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض٠ولا بذى لون ولا طعم ولا رائحة ولا طول له ولا عرض ، ولا عمق ، وانه لايتحرك وليس بذى جهات ولا يحيط به مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا تجوز عليه المماسه ، ولا الحلول ، وانه ليس بمحدود ولا متناه (٨) ٠

وصفاته تعالى لست مستقلة عن الذات ، وانما هى عين الذات ، وهو حى بذاته لا بحياة ، عالم بذاته لا بعلم ، قادر بذاته لابقدره ، بل لقد ذهب المعتزلة الى أبعد من ذلك على يد أبو الهذيل العلاف ، اذ لايكفى عنده أن نقول عن الله أنه حى بذاته لا بحياة ، بل من الممكن أن نقول أنه حى بحياة وحياته ذاته ، وقادر بقدره وقدرته ذاته ، وعالم بعلم وعلمه ذاته ٠ أى انه اثبت الاسم والصفة معا ٠

كما لجأ المعتزلة الى تأويل الآيات القرآنية التى تفيد أن لله عينا ووجها، ويدا ، وأنكروا امكان رؤية الله بالعين يوم القيامة ، لاقتضائها الجسمية والجهة ، واعترفوا برؤية القلب ، واستندوا فى ذلك الى مبدأين عقليين :

---

(٧) د٠ على سامى النشار : المصدر السابق ، جـ١ ص ٤٢٤ ٠

(٨) د٠ يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، ص ١١١ ـ ١١٢ ٠

المبدأ الأول : ان شيئا من الحواس لا يدركه فى الدنيا ولا فى الآخرة٠

المبدأ الثانى : نفى التشبيه عنه من كل وجه ـ جهة ومكانا وصورة وجسما وتحيزا وانتقالا وزوالا وتغيرا وأثرا٠وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهه فيها ، وسموا هذا النمط توحيدا» (٩) ٠

وعندما تعرض المعتزلة لمشكلة الكلام ، ذهبوا الى القول بأن القرآن محدث مخلوق فى محل ، وهو حرف وصوت ، ولكنه كلام الله ، فالقرآن منزل ، وكل منزل محدث ٠

تلك كانت وسائل المعتزلة فى صون العقيدة الاسلامية ، وفى تأكيد معنى التوحيد على طريقتهم ، وهو كما رأينا يمثل أهم صفه للذات الالهية ٠

الاصل الثانى : العدل : ـ

يرتبط حديث المعتزلة عن العدل بالحديث عن العلاقة بين الله والانسان أو جبريه الله واختيار الانسان٠وحديث المعتزلة عن العدل يأتى استكمالا لنظريتهم فى التوحيد ٠ فقد بدأوها أولا بنفى الصفات عنه تعالى تنزيها له عن مشابهة المخلوق ، ثم جاء قولهم بالعدل ثانيا لينزهوه تعالى عن الظلم حتى لا يشابه المخلوق فى صدور الظلم عنه ٠

والعدل عند المعتزلة يمثل أهم صفه للفعل الالهى ، ومن أجل ذلك سموا بأهل العدل والعدليه٠والعدل عند المعتزلة «هو ما يقتضيه العقل من الحكمة وهو اصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة أو يحدده القاضى عبد الجبار:

---

(٩) الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ١ ص ٥٨ ، ٥٩ ، وانظر القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، تحقيق د٠ عبد الكريم عثمان ، عام ١٩٦٥ ٠

«انه تعالى عدل ، المراد به أن افعاله كلها حسنه ، وأنه لايفعل القبيح ولايخل بما هو واجب عليه» (١٠) ٠

يستند موقف المعتزلة من العدل على موقف عقلانى خالص ، فالأصل عندهم هو «حرية الانسان»٠فالانسان مسئول عن أفعاله وهو خالق لها ، ولن يكون هناك معنى للثواب أو العقاب بدون اقرار هذه المسئولية الانسانية ، فقد حباه الله العقل وجعله مناط التكليف ، وبعث الأنبياء لهداية الناس الى طريق الرشاد ، ومن ثم فمن عمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره ، ومن هنا تتحدد مسئولية الانسان عما يصدر عنه من أفعال٠ والفعل عند المعتزلة قد يبدو شرا كالأمراض والآلام ، ولكنه لا يكون قبيحا ، وقد يبدو خيرا كالملذات والنعم ولكنه لا يكون حسنا٠والمهم فى تقرير حسن الأفعال وقبحها عند المعتزلة هو العقل وليس الشرع ، وهذا يعنى أن الفعل يكون حسنا لا لمجرد أن الله أمر به أو نهى عنه بل لأن العقل جاء مقررا لحسنه ، وقد يكون هذا هو السبب ، كما يقول د٠ يحيى هويدى ، الذى من اجله فضل المعتزلة أن يستخدموا كلمتى «الحسن والقبح» بدلا من كلمتى الخير والشر ، وذلك لما توحى اليه هاتان الكلمتان من أن الله هو الذى رسم الخير والشر عن طريق الشرع ، ولكن الحسن والقبح الفعلين عند المعتزلة لا يعتمدان على ما يراه الفعل فى ظاهر الفعل من نتائج مباشرة بل على ما يترتب على الفعل من نتائج بعيدة (١١) ٠

يرتبط مفهوم العدل الالهى عند المعتزلة بفعل الصلاح والمصلحة للناس، فليس عند الله تعالى شىء أصلح مما أعطاه للناس ، وليس يقدر على شىء

---

(١٠) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ١٣٢ ، د٠ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى جـ١ ص ٤٣٣ ٠

(١١) د٠ يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، ص ١١٨ ٠

افضل وأصلح مما فعل ، لأنه سبحانه وتعالى عادل ويقتضى عدله الا يعطى بعض الناس شيئا من فضله دون البعض الآخر ، لأن فى هذا محاباه والمحاباه ظلم .

ب

والشرور والكوارث فى رأى المعتزلة ليست افعالا قبيحة بل هى فتنه وابتلاء للناس ، وهى موجودة ، ولكن الله لم يخلقها . فالعبد ، كما يذهب المعتزلة «قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها ، مستحق على مايفعله ثوابا أو عقابا فى الدار الآخرة» .

والله منزه عن أن يضاف اليه شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية «لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا» ، والحكيم لايفعل الا الصلاح والخير ، ويجب ـ من حيث الحكمة ـ رعاية مصالح العباد (١٢) .

هكذا كان الله فى نظر المعتزلة ، سلوبيا بحته ، فسلبوا منه تعالى الصفات لكى يكون منزها منفردا فى ذاتيته ، وسلبوا منه الفعل لكى يكون منفردا بخيريته .

الأصل الثالث : الوعد والوعيد :

القول بالوعد والوعيد أو بالثواب والعقاب نتيجة ضرورية للقول بالتكليف وبحرية الارادة . فهذا الأصل ينبثق عند المعتزلة عن الأصل السابق وهو العدل . فالعدل الالهى يقتضى أن يثاب المحسن ويعاقب الشرير .

---

(١٢) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ص ١٥٣ ، د. على سامى النشار : المصدر نفسه ، جـ١ ص ٤٣٤ .

والايمان بالثواب والعقاب قائم عند المعتزلة على السمع والعقل معا على عكس الأمر عند جميع الفرق الاسلامية ، وحجتهم فى ذلك انه اذا كان العقل هو الذى يقتضى الفعل ، فهو اذن القوة المميزة بين الخير والشر٠والسمع فى رأيهم ليس له من أهمية سوى أنه تأكيد للعقل فى أحكامه٠«المعارف كلها معقولة بالعقل واجبه بنظر العقل ، وشكر المنعم واجب قبل ورود السمع ، والحسن والقبح صفتان ذاتيتان للحسن والقبيح» (١٣) ٠

الخلاص من الذنوب مشروط عند المعتزلة بالتوبه الخالصة٠وقد اتضح لينا هذا المعنى من شرح المسعودى لمذهب المعتزلة فى الوعد والوعيد : فالقول بالوعيد ، وهو الأصل الثالث بمعناه أن الله لا يغفر لمرتكبى الكبائر الا بالتوبة، وأنه الصادق في وعده ووعيده ولا مبدل لكلماته (١٤) ٠

وبالجملة فالوعد والوعيد عند المعتزلة مرتبطان بفعل الانسان وما يصدر عنه ويتوقفان علي تحكيم العقل ، والأمر على خلاف ذلك عند أهل السنه والجماعة ، «فكل من نجا واستوجب الثواب فبوعده ، وكل من هلك واستوجب العقاب فبوعيده ، فلا يجب عليه شىء من قضية العقل» (١٥)٠

الأصل الرابع : المنزله بين المنزلتين :

يوضح القاضي عبد الجبار الأصل الرابع من أصول المعتزلة وهو المنزله بين المنزلتين لغة واصطلاحا فيقول : المنزله بين المنزلتين لغة انما تستعمل فى شىء بين شيئين منجذب الى كل واحد منهما بشبه٠اما فى اصطلاح المتكلمين

---

(١٣) الشهرستاني : الملل والنحل جـ١ ص ٢٥٠ ٠

(١٤) المسعودى : مروج الذهب ، جـ٣ ص ١٥٣ ، الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ٥٩ ٠

(١٥) الشهرستانى : الملل والنحل جـ١ ص ٥٩ ٠

فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسما بين الاسمين ، وحكما بين الحكمين(١٦)٠
وقد كان هذا الأصل ، كما سبق وأن أشرنا ، اللبنة الأولى فى نشأة المعتزلة وبه سمي المعتزلة بالمنازلية ، إى أصحاب المنزله بين المنزلتين (١٧)٠فبينما اعتبر الخوارج أصحاب الكبائر كافرين ، واعتبرهم أهل السنه مؤمنين فاسقين ؛ رأى واصل بن عطاء أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا مطلقا وانما هو فى منزله بين المنزلتين ٠

الأصل الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أمر يكاد يسلم به أغلب الفرق الاسلامية ٠ وإذا كان المعتزلة قد أقروه أصلا من أصولهم او مبادئهم ، فما ذلك الا لاقتناعهم بأن المسلمين مكلفون بالجهاد في سبيل الله واقامة احكامه على كل من خالفه فى أوامره ونواهيه سواء أكان كافرا أم مسلما (١٨)٠

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مبدأ أخلاقى عملى يتصل بالسلوك٠وينظر اليه المعتزلة على انه فرض كفاية على كل مسلم ومسلمة ، يصوره الأشعرى على النحو التالى : «أجمعت المعتزلة ، الا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك»(١٩)٠

بهذه الأصول الخمسة اقام المعتزلة دعائم مذهبهم ، وقد لخصه ابن خلدون فى كلمات موجزه فقال : «جاء المعتزلة فأثبتوا هذه الصفات (أى

---

(١٦) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ١٣٧ ٠
(١٧) أبو طالب المالكى : قوت القلوب ، جـ١ ص ٤٨٤ ، المطبعة التجارية ١٩٦١ ٠
(١٨) الخياط : الانتصار ص ١٢٦ ، المسعودى : مروج الذهب جـ٣ ص ١٥٤ ، د٠ على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى جـ١ ص ٤٤٠ ٠
(١٩) الأشعرى : مقالات الاسلاميين جـ١ ص ٢٧٨ ٠

صفات الله) احكاما ذهنيه مجرده ، ولم يثبتوا صفة تقوم بذاته ، وسموا ذلك توحيدا ،وجعلوا الانسان خالقا لأفعاله ولا تتعلق بها قدرة الله تعالى، سيما الشرور والمعاصى منها ، اذ يمتنع على الحكيم فعلها ، وجعلوا مراعاة الأصلح للعباد واجب عليه ، وسموا ذلك عدلا ، بعد أن كانوا اولا يقولون بنفى القدر ، وان الأمر كله مستأنف بعلم حادث وقدرة وارادة» (٢٠) .

وهذه الأصول كما رأينا ، تكون مذهبا متكاملا عن الاله والانسان . ففى الأصل الأول والثانى ـ وهما التوحيد والعدل ـ بحث فى ذات الله وصفاته .وفى الأصل الثالث ـ وهو الوعد الوعيد ـ موقف واضح من الحرية الانسانية والمسئولية الفردية ، واستكمل هذا الموقف ببحثهم ـ فى الأصل الرابع ـ فى المنزله بين المنزلتين ، وهى امر يتصل بمفهوم الايمـان .وقولهم ـ فى الأصل الخامس ـ بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو الأصل الذى يقضى بمجاهدة كل من خالف حكم الله فى أمره ونهيه

---

(٢٠) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٣ .

خامسا : تحليل ونقد : ـ

سنعمد فى وقفتنا الأخيرة مع المعتزلة الى تحليل ونقد آرائهم. واقول بادىء ذى بدء ان المعتزلة كفرقة كلامية تميزت بانتاج غزير فى مجالات متعددة شملت الالهيات والأنطولوجيا ، والاكسمولوجيا ، والأخلاق والسياسة وعلم النفس . ـ جمعت بين الكلام والفلسفة مع أنه كان المتوقع المرجح وهى من أوائل الفرق الاسلامية ـ التى كان لها موقفا متميزا ازاء بعض المسائل الدينية كمسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ، وموضوع الخلافه أو الامامه ـ أن يكون مدار بحثها الالهيات وحسب . غير ان الواقع على خلاف ذلك ، فقد عالجت الكثير من المسائل ـ وخاصة تلك المتعلقة بالانسان، العالم ، الطبيعة ، الشر ـ معالجة فلسفية انطلاقا من نظرتها العقلانية للأمور، وتحدثت عن الجوهر والعرض والكمية والكيفية ، الحركة والسكون ، وموضوعات أخرى فلسفية هى بعيدة عن مجال الدراسات الاسلامية ، وهذا ان دل على شىء فانما يدل على أثر العوامل الأجنبية على فكر هذه الفرقة الكلامية .

والأمثلة على ذلك عديدة ، نذكر منها موقف أبو هذيل العلاف من فكره الألوهية ، وبخاصة رأيه فى الله : ذاته وصفاته . والعلاف كما نعرف هو أول متكلم معتزلى مزجت آراؤه الكلامية بالفلسفة. قامت اراؤه على أساس التنزيه المطلق لله. وأنطلاقا من هذه القاعدة سلب عن الله الصفات علما بأن القرآن قد وصف الله بأوصاف ايجابية ظاهرها التشبيه ، وأخرى سلبية تفيد التنزيه المطلق .

فمن الآيات الدالة على الصفات الايجابية لله قوله تعالى : «الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش»

(سورة السجده آية ٤) ، وقوله تعالى «٠٠ وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد» (سورة البروج آية ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، وقوله تعالى: «هو الأول والآخر والظاهر والباطن» ٠

ـ اما الصفات السلبية فمنها مثلا ما ورد فى قوله تعالى فى سورة الاخلاص «لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد» ، وقوله عز وجل «ليس كمثله شيء» ٠

هنا قد يحق لنا أن نتساءل : لماذا نفى العلاف الصفات مع ورودها مثبتة لله فى القرآن ؟

قد يرى البعض أن امعان العلاف فى التنزيه المطلق هو الذى دفعه الى نفى الصفات ، ربما لا تكون هذه الاجابة مقنعة للبعض ممن يرى ان سلب العلاف للصفات يعد مخالفا لما هو وارد فى القرآن ٠

وهنا نرى ضرورة رد قوله بنفى الصفات الى تأثره بالمؤثرات الأجنبية خاصة وأنه عاش فى عصر تلاقت فيه تيارات دينية وفكرية متباينة كالمجوسية واليهودية والنصرانية والاسلام ، وفيه افترق المسلمون الى مشبهة ومنزهه ، والى قائلين بالجبر وقائلين بالاختيار٠هذا فضلا عما ترجم الى العربية من كتب فى الفلسفة اليونانية ٠

والعلاف مع فصاحته وقوة جدله وبراعته في الدفاع عن عقيدته الاسلامية ضد الآراء المخالفة لها ، فهو لا محالة قد تأثر بشكل أو بآخر بالآراء الفلسفية التى وقف عليها من قراءاته للكتب المترجمة ، والدليل على ذلك قوله متأثرا بفكرة أفلاطون(١) عن خلق الله للعالم : «ان الله لم يخلق الخلق على مثال سبق» (٢) ٠

---

(١) خلاصة فكرة افلاطون أن الاله أو الصانع قد صنع العالم المحسوس من مادة قديمة غير منظمة ، وجاء هذا العالم على غرار عالم المثل ٠

(٢) راجع الملل والنحل جـ٢ ص ١٩٢٠

ـ صحيح انه لا يتابع افلاطــون فى قوله بقدم العــالم ، وانما يقول بحدوثه طبقاً لما ورد فى القرآن ، ولكن المعنى الظاهر من عبارته يفيد وقوفه على فكرة أفلاطون فى خلق العالم ، ومن ثم تأثره بها ٠

ـ وبدافع من تنزيه الله تنزيها مطلقا ذهب العلاف الى القول بأن «الله واحد ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، وليس بجسم ولا شبح ولا صورة ، ولا لحم ولا دم ، ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ٠٠٠ ولا يتحرك ولا يسكن ولا يحيط به مكان ، ولا يجرى عليه زمان» (٣) ٠

وانا نرى أن وصف العــلاف لله بهــذه الصفات ، وان دل على عظيم تنزيهه له ، فاننا نلمح فى رأيه هذا مسحة ارسطيه ٠ فيذكرنا قوله عن الله ذاته وصفاته بما ذهب اليه أرسطو عند وصفه للمحرك الأول بأنه غير متحرك اصلا لا بالذات ولا بالعرض ، وأنه ليس بجسم ، يحرك كفاية ، وأنه معقول ومعشوق ، وأنه خارج العالم وهو بالجملة لا يخضع للزمان ولا يتحرك ولا يسكن (٤) ٠

ولا يقف تأثر العلاف بالفكر اليونانى عند هذا الحد وحسب ، وانما تغلغل هذا الفكر فى العديد من ابحاثه ـ وابحاث معاصريه ، فتحدث عن الجوهر الفرد والحــركة والسكون ، والجسم والعــرض ، وفرق بين النفس والروح على مقولة الفلاسفة ، ووافقهم فى القول بأن النفس عرض ، وفى نفى الصفات الوجودية ٠

ويبدو تأثر ـ معاصرة ـ معمر بن عباد السلمى بالثقافات الأجنبية فى

---

(٣) على مصطفى الغرابى : أبو هــذيل العــلاف ، ص ٣٣ ، ط١ ، مطبعة حجازى ١٩٤٩ ٠

(٤) يوسف مــكرم : تاريخ الفلسفة اليــونانية ، ص ١٧٨ ـ ١٨٢ ، دار القلم ، بيروت (بدون تاريخ) ٠

رأيه عن الإنسان ، وقوله بأن فعل النفس هو الارادة ، وفعل الجسد هو الحركة والسكون ، وزعمه خلق الله للأجسام دون الأعراض ٠

- والمعتزلة كفرقة كلامية وان تميزت أفكارها بالعديد من الجوانب الايجابية ، فيعاب عليهم غلوهم فى الاعتقاد بخلق القرآن ، وتشددهم فى فرض رأيهم هذا على البسطاء من العامة حتى انهم وصفوا القائلين بقدم القرآن بالضلال والشر ، ونقصان العقيدة ، وعدم الثقة بشهادتهم وأقوالهم ٠

- ويعاب عليهم أيضا غلوهم فى استعمال العقل ، اذ لم يقصروه على عالم الطبيعة وحسب ، وانما طبقوه أيضا على ما وراءها ٠

- وانكارهم امكان رؤية الله بالعين يوم القيامة مع وجود الآيات الدالة على امكان رؤية البارى ٠

غير أن هذه الانتقادات لا تقلل من الأثر العظيم الذى خلفته المعتزلة فى الفكر الاسلامى فهى بحق ساعدت على تقدم الكلام ، وقدمت لنا فكرا عميقا امتزج فيه الكلام بالفلسفة ٠

الفصل الرابع

الأشـــــاعرة

أولا : تعريفهم ·

ثانيا : منهجهم ·

ثالثا : نماذج من ممثلى الفكر الأشعرى وآرائهم الـكلامية والفلسفية ·

١ ـ أبو الحسن الأشعرى ·

٢ ـ الامام الغزالي ·

رابعا : تحليل ونقد : ـ

الأشــــاعرة

اولا ـ تعريفهم : ـ

الأشاعرة هم احــدى الفرق الكلامية ، حاولت أن تقف موقفا وسطا بين السلف القائلين بالنقل ، وبين المعتزلة القائلين بالعقل ، عرفهم ابن رشد بقوله: «أما الأشاعرة فقد راموا أن ياتوا بقول وسط بين القولين ، فقالوا أن للانسان كسبا ، وأن المكتسب به والكسب مخلوقات لله تعالى» (١) ٠

موقف الأشاعرة اذن هو التوفيق بين الآراء المتقابلة ، والربط بينها على نحو مقبول ، لذا فمدى ابتكارهم محدود٠واذا قارنا الأشاعرة بالمعتزلة من هذه الناحية ، كما يقول د٠ ابراهيم مدكور،وجدنا الأخيرين اكثر ابتكارا، «أتوا بآراء لم يسبقوا اليها ، وعارضوا آراء السلف وفندوها٠وقنع الأشاعرة بالملاءمة بين الطرفين ، وانتهوا الى رأى وسط أضحى دستورا استمسك به الخلف الى النهاية ، واستقر بوجه خاص فى القرون الأخيرة» (٢)٠يصدق هذا القول على مؤسس هذه الفرقة وهو أبو الحسن الأشعرى ، فقد اقام بنـاء مذهبه (أى مذهب الأشــاعرة) على أســاس من التوفيــق بين السلف والمعتزلة،والأدلة على ذلك كثيرة :

١ ـ فقد توسط فى مشكلة الصفات ، اذ أثبت مع السلف الصفات ، وقال مع المعتزلة انها قائمة بالذات ٠

٢ ـ يتفق مع المعتزلة فى القول بأن العقل يدرك ما فى الأشياء من حسن وقبح ، ويجارى السلف عندما يجعل كل معرفة بالعقل مردودة الى

---

(١) ابن رشد : الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، ص ٢٢٤ ، القاهرة ١٩٥٥م ٠

(٢) د٠ ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٤٦ ٠

الشرع ، فكل فرد وان استطاع أن يعرف الله بعقله ، لا تجب عليه هـذه المعرفة الا بأمر شرعى (٣) ٠

٣ - يقرر أبو الحسن الأشعرى قول المعتزلة بأن الله عدل ، ويتفق مع السلف فى القول بأن الله مختار يفعل ما يشاء (٤)،فلا يوجب عليه تعـالى شىء ولو كان الصلاح والأصلح ٠

٤ - توسط أبو الحسن الأشـعرى أيضا فى موضـوع صفة الـكلام أو مشكلة خلق القرآن ، فالكلام عنده يطلق باطلاقين : يراد به المعنى النفس القائم بالذات ، وهذا بالنسبة لله قديم أزلى ، ويطلق كذلك على الأصوات والحروف التى تؤدى هذا المعنى ، والأصوات والحروف هنا حادثة (٥) ٠

- بالنسبة للمتشابه من الآيات ، فقد يقبلها الأشعرى مع السلف ، كما هى من غير تشبيه لأنه لا يستطيع أن ينكر ما ورد فى الكتاب والسنة من أن لله وجها ويدا وعينا وعرشا ، ولـكن يمـكن أيضـا أن يؤولها مـع المعتزلة (٦) ٠

٦ - وفيما يتعلق بموضوع الرؤية نجد الأشعرى يبدو مخالفا للمعتزلة القائلين باستحالة رؤية الله بالابصار ، فهو من ناحية يورد العديد من الأدلة النقلية والعقلية المثبته لامـكان رؤية الله تعالى ، وذلك من منطلق ايمـانه بمنطق الامـكان وعـدم التسليم بمنطق الضرورة والثبات (٧)٠ومن ناحية

---

(٣) الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٧٣ - ٧٤ ، لندن ١٨٤٦٠

(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة ٠

(٥) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٣٣٧ ، الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٦٨ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٤ ٠

(٦) الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٧٤ ٠

(٧) د٠ محمد عاطف العراقى : المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ، ص ١٣٣ - ١٣٥ ، دار المعارف ط١ ١٩٨٠ ، البغدادى : الفرق بين الفرق، ص ٣٣٥ - ٣٣٦ ٠

أخرى ، نجده يقرر أن هذه الرؤية لا تستلزم جهة ولامكانا ، وانما هى ضرب من المعرفة والادراك سبيله العين على نحو غير النحو المألوف فى الدنيا (٨)٠

وبالجملة الأشاعرة مدرسة موفقة قامت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى على يد أبو الحسن الأشعرى الذى كان معتزليا وتلميذا لأبو على الجبائى ، تخاصما على أثر المناظرة فى مسألة الصلاح والأصلح، وانحاز الأشعرى الى طائفة السلف ـ ومنهم عبد الله بن سعيد بن كلاب ، وأبى العباس القلانس ، والحارث بن أسد المحاسبى ـ وأيد مقالتهم بمناهج كلامية ودلل عليها بالبراهين العقلية ، وأصبح مذهبه هو مذهب أهل السنة والجماعة (٩) ٠

يطلعنا البغدادى فى كتابه «الفرق بين الفرق» على ما يعم أهل السنة والجماعة من عقائد فيقول : «كلهم متفقون على مقالة واحدة فى توحيد الصانع وصفاته ، وعدله وحكمته ، وفى أسمائه وصفاته ، وفى أبواب النبوة والامامة، وفى أحكام العقبى ، وفى سائر أصول الدين٠٠ ويجمعهم أيضا الاقرار بتوحيد الصانع وقدمه ، وقدم صفاته الأزلية ، واجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل» (١٠) ٠

ونظرا لأن هدفنا من التعريف بالأشاعرة هو تقديم صورة مجملة عن هذه الفرقة ، فسوف نركز حديثنا عنها على منهجها وآرائها من خلال بعض شخصياتها دون الدخول فى التفاصيل الدقيقة للموضوعات التى كانت مثار جدل ونقاش بينها وبين الفرق الأخرى ٠

---

(٨) الشهرستانى : المصدر نفسه ، ص ٧٢ ٠

(٩) د٠ أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٤ ٠

(١٠) البغدادى : المصدر نفسه ، ص ٢٦ ٠

ثانيا - منهجهم :

اتخذ الأشاعرة الكتاب والسنة منهجا لهم ساروا عليه في بناء مذهبهم ، فهم جميعا «يقرون بكتب الله ورسله ، وبتاييد شريعة الاسلام ، واباحة ما اباحه القرآن ، وتحريم ما حرمه القرآن ، مع قبول ماصح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتقاد الحشر والنشر ، وسؤال الملكين في القبر ، والاقرار بالحوض والميزان» (١) ٠

ولايمان الأشاعرة بأن «الاتباع خير من الإبتداع» فقد أعتمدوا على المأثور الى جد كبير ، يقول الأشعرى موضحا هذا المعنى : «قولنا الذى نقول به وعقيدتنا التى ندين بها ، التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما روي عن الصحابه والتابعين وائمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان عليه أحمد بن جنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون» (٢) ٠

على أن تمسك الأشاعرة بالنقل وبما ورد فى الشرع ، لم يمنعهم من الأخذ بالعقل فقد جاءت حججهم الداحضة لآراء خصومهم جامعة بين الأدلة النقلية والعقلية ، وان جعلوا الأولوية للنقل ، وعدوا العقل خادما له ، وهما معا متعاونان ٠ ولا ادل على ذلك من تشبيه الامام الغزالى النقل بالشمس المضيئة ، والعقل بالبصر السليم ، وبالعقل نثبت صدق النقل وندافع عن الدين (٣) ٠

وبالجملة فالاشاعرة وان أخذوا بالنصوص على ظاهرها ، فانهم قد

---

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦ ، ٣٢٤ - ٣٥٣ ٠

(٢) الأشعرى : الابانة فى أصول الديانة ، ص ٥ ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ٠

(٣) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، ص ٢ ، القاهرة ١٩٠٩ ، د٠ مدكور : فى الفلسفة الاسلامية ، جـ٢ ص ٤٨ ٠

لجأوا الى طريقة العرب فى المجاز ، حيث تتعذر حقائق الألفاظ ، وحملهم على هـذا التأويل وان كان مخـالفا لمذهب السلف فى التفويض كما يقـول ابن خلدون (٤) ٠

---

(٤) انظر المقدمة ، ص ٤٣٤ ٠

ثالثا ـ نماذج من ممثلى الفكر الأشعرى وآرائهم الكلامية والفلسفية : ـ

حرى بنا الآن أن نتعرف على آراء الأشاعرة من خلال بعض شخصياتها وهى كثيرة. فمن الأشاعرة أبو الحسن الأشعرى المؤسس الأول للمذهب الأشعرى ، أبو بكر الباقلانى المؤسس الثانى للمذهب المتوفى عام ٤٠٣هـ ـ ١٠١٣م ، وامام الحرمين (الجوينى) المتوفى عام ٤٧٨هـ ـ ١٠٨٥م ، والغزالى المتوفى عام ٥٠٥هـ ـ ١١١١م ، والشهرستانى المتوفى عام ٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م. ونذكر من الأشاعرة المتأخرين فى القرن السابع الهجرى: البيضاوى» صاحب كتاب «طوالع الأنوار من مطالع الأفكار». وفى القرن الثامن الهجرى نجد الايجى صاحب كتاب «المواقف» وتلميذه سعد الدين التفتازانى المتوفى عام ٧٩١هـ ـ ١٣٨٩م. أما فى القرن التاسع الهجرى فنجد السنوسى ممثلا للأشاعرة فى شمال أفريقيا .

وآراء الأشاعرة فى جملتها لا تخرج عما رسمه أبو الحسن الأشعرى ، وان اختلفوا فيما بينهم فى بعض التفصيلات .

والآن سنقف قليلا عند بعض شخصيات الأشاعرة ، وقد تخيرنا منهم : أبو الحسن الأشعرى ، والامام الغزالى .

١ ـ أبو الحسن الأشعرى : ـ

هو أبو الحسن على بن اسماعيل .. بن أبى موسى الأشعرى ، اختلف فى تاريخ مولده ، فقيل ولد عام ٢٦٠هـ ، وقيل ٢٧٠هـ ، وتوفى عام ٣٢٤هـ. كان معتزليا اذ مارس تعاليم المعتزلة أربعين سنة ، ولم يعدل عنها الا بعد ذلك (١) ، ولكنه لم يترك أنماط الجدل التى تعلمها من المعتزلة ، وانما بدأ يستخدمها فى الدفاع عن عقيدة أهل السنة (٢). وهو لم يكن أول من حاول

---

(١) د. ابراهيم مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٤٦ .

(٢) W. Montgomery Watt: What is Islam, 1968, c. 2. p. 163.

تطبيق الكلام أو الجدل العقلى فى الدفاع عن المذهب العقائدى ، فالحارث بن أسد المحاسبى كان من بين هؤلاء الذين قاموا بمحاولات مشابهة سابقة ، ومع ذلك ، فالأشعرى فيما يبدو ، كان أول من حاول ذلك بطريقة مقبولة لجماعة أهل السنة (٣)·وللأشعرى العديد من الكتب نذكر منها : «كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين» وفى هذا الكتاب يعرض لآراء الفرق على اختلافها ، وكتاب «اللمع» ، وكتاب «الابانة عن أصول الديانة» ، ورسالة فى استحسان الخوض فى الكلام» ·

والأشعرى هو مؤسس مدرسة علم الكلام التى حملت اسمه(٤) ، أقام مذهبه على أساس التوسط بين مختلف الآراء ، وقد استطاع بمهارة أن يوفق بين آراء المعتزلة وأهل السلف ، وان لم تخلو طريقته من بعض المآخذ ·

فند الأشعرى مقالات المعتزلة بالحجج الكلامية ، وأثبت الصفات القائمة بذات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة ، واستطاع أن يجعل لله ما يليق به منزه الذات الالهية عن كل ما يتعلق بالجسم وبالانسان ، وقال ان الله خالق كل شىء ، وقادر على كل شىء ·

النقطة الجوهرية فى مباحث الأشعرى فى أمر الكون وفيما يتعلق بالانسان وبالحياة الآخرة ، كما يقول دى بور أنه لم يبعد كثيرا عن نصوص السنة تثبيا لأفئده المتقين ، ولذلك فان مذهبه فى الكلام كان يرضى عقول الناس ، حتى أهل الثقافة العالية منهم ، وذلك لأنه فيما يتعلق بذات الله ينزع الى التنزيه عن الجسمانيات (٥)·فالله عند الأشعرى هو الخالق القادر على كل

---

(٣) The Encyclopaedia of Islam, New edition, 1986, vol I, p. 694.

(٤) Ibid., p. 694.

(٥) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص١١٧، وانظر جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، وانظر مقالة «بين ايمان العقل وايمان القلب» فى العدد ٤٢٤ من مجلة الثقافة ·

شيء ، والله وحده هو موجود العالم ، وكل ما يقع فى الكون يصدر عنه صدورا متصلا بلا واسطة ، وعنايته تشمل كل ما فى الوجود ، وهو عالم بما كان وما سيكون من أفعال العباد ·

والأصل عند الأشعرى هو الوحى · أما العقل فهو آلة للادراك فقط ، لذا لايعتبر النظر العقلى المستقل عن الوحى سبيلا الى معرفة الشئون الالهية فالواجبات عنده كلها واجبات بالسمع ، «ومعرفة الله بالعقل تحصل وبالسمع تجب» (٦) ·

والانسان فى رأى الأشعرى ، يستطيع أن يضيف الى نفسه ما يخلقه الله فيه من الأفعال ، وأن يعتبر ذلك من كسبه (٧) ·تلك هى نظرية الكسب الشهيرة التى خرج بها الأشعرى على قول المعتزلة بأن الانسان هو خالق أفعاله ، وقول الجبرية أن الله خالق أفعال الانسان ، فقال ان أفعال الانسان لله خلقا وابداعا وللانسان كسبا ووقوعا عند قدرته·وهذا يعنى أن فعل العبد داخل فى نطاق القدرة الالهية·يقول الجوينى : «فمذهبنا أن كل حادث مراد لله تعالى حدوثه ، ولا يختص تعلق مشيئة البارى بصنف من الحوادث دون صنف ، بل هو تعالى مريد لوقوع جميع الحوادث خيرها وشرها-ونفعها وضررها (٨)·وقد أكد هذا المعنى ابن تيمية فى قوله : ان فعل العبد لايعد فعلا له على وجه الحقيقة ، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله ايضا ، وهو ليس نفس فعل الله (٩) ·

---

(٦) الشهرستانى : الملل والنحو ، ص ٧٣ طبعة ليبتزج ١٩٢٣ ·
(٧) المصدر السابق ، ص ٦٨ - ٧٢ ·
(٨) أبو المعالى الجوينى : الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد، تحقيق د· محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد، ص ٢٣٧ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ط١ ، ١٩٥٠ ·
(٩) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ١ ص ٢١٤ عام ١٣٢١هـ ·

وقوله هذا يعكس رأى الأشاعرة فى السببية ، فالعلاقة عندهم ليست ضرورية بين الأسباب والقوة فى رأيهم مع الفعل ، وهذا يعنى انه اذا كان للعبد ثمة استطاعة ، فان هذه الاستطاعة لا تكون الا مع الفعل ولاتتقدمه البته (١٠)٠فمثلا اذا قلنا أن انسانا لديه القدرة على الرسم ، فهذه القدرة أو القوة لا تكون لدى هذا الفرد الا مع الرسم ، لاننا اذا قلنا ان لديه القوة على الرسم قبل الرسم ، فهذا يعنى أن العلاقة ضرورية بين الأسبابوالمسببات وهو ما ينكره الأشاعرة ٠

أما فيما يتعلق بالقرآن ، فالأشعرى يفرق بين شيئين : بين كلام الله وهو قديم ، وبين الكتاب الذى بين أيدينا والذى أنزل فى زمن من الأزمان وهو مؤلف من حـروف مقروءة بالأصـوات (١١)٠وهذا يعنى أن العبارات والألفاظ مخلوقة حادثة اما مدلولها فازلى قديم ٠ يقول ابن خلدون موضحا هذا المعنى : «وكان من مذهبهم (أى الأشاعرة) اثبات الكلام والسمع والبصر، لانها وان أوهم ظاهرها النقص بالصوت والحرف الجسمانية فقد وجد الكلام عند العرب مدلول آخر غير الحروف والصور وهو مأيدور فى الخلد٠٠٠ وصار القرآن اسما مشتركا بين القديم بذات الله تعالى ، وهو الكلأم النفس، والمحدث الذى هو الحروف المؤلفة المقروءة بالأصوات» (١٢) ٠

ومن جملة ماذهب اليه أبو الحسـن الأشعرى نستطيع أن نقول ان الأشاعرة : ـ يميلون الى الحلول الوسطى ، قالوا بالكسب وهى فكرة توسطوا بها بين رأى الجبرية ورأى المعتزلة٠والكسب هو الشرط الأساسى للثواب

---

(١٠) ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ٣ ص ٢٢ ، وانظر أيضـا تفصيل هذا الموضوع فى «تحـديد المذاهب الفلسفية والكلامية» الدكتور/ محمد عاطف العراقى ، ص ١٣٩ ـ ١٤٧ ، ط ٣ دار المعارف ١٩٧٦ ٠

(١١) الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٦٨ ، لندن ١٨٤٦م ٠

(١٢) انظر المقدمة ، ص ٤٣٤ ٠

والعقاب وهو يعنى الشعور بالاختيار أو هو «الاقتران العادى بين قدرة العبد والفعل» فالله يوجد القدرة والارادة فى الانسان ، وقدرة الانسان وارادته لها مدخل فى فعله ٠

- الأشاعرة أميل الى القول بالجبر خاصة وانهم أنكروا وجود علاقة ضرورية بين الأسباب والمسببات ٠

- وفى رأيهم أن علم الله تعالى وقدرته وحياته وارادته وسمعه وبصره وكلامه صفات له أزلية ، ونعوت له أبدية ٠

- اجمع الأشاعرة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته فى كل حال ولكل حى من طريق العقل ، ووجوب رؤيته للمؤمنين خاصة فى الآخرة من طريق الخبر ، وليس فى اثبات الرؤية تشبيه ولا تجسيم (١٣) ٠

---

٢ - الامام الغزالى :

هو أبو حامد بن محمد بن محمد الغزالى ، من أكبر مفكرى الاسلام ولد فى طوس من أعمال خراسان عام ٤٥٠هـ و ١٠٥٩م كان فقيها متكلما صوفيا درس علم الكلام فى نيسابور على امام الحرمين الجوينى ، ثم وفد على طوس (نظام الملك) وزير السلطان السلجوقى ألب ارسلان ، وظل عنده حتى أسند اليه منصب التدريس فى بغداد عام ٤٨٤هـ - ١٠٩١م وفى هذه الأثناء اشتغل فى تحصيل الفلسفة لا طلبا الى معرفة تكشف له أسرار ظواهر الكون ، بل سعيا الى طمأنينة القلب ، وتذوق الحقيقة العليا ٠

وفى عام ٤٨٨هـ أى بعد أربع سنوات ، انقطع الغزالى عن التدريس ،

---

(١٣) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ ٠

اذ تزايدت الشكوك التى كان يثيرها عقله ، ولم يعد يطمئن الى المحاضرات الكلامية التى كان يلقيها على تلاميذه ·درس مذهب الباطنية ، وكشف عن فضائحهم فى كتابه فضائح الباطنية ، واخذ يتنقل بين البلاد ، موزعا اوقاته بين التأليف والعبادة ، فذهب الى دمشق وبيت المقدس ، والى الاسكندرية ، ومكة والمدينة ثم عاد الى وطنه طوس ، وقضى السنين الأخيرة من حياته في دراسة طريق الصوفية ، وفى العبادة ومجالسه ارباب القلوب ، والاقبال على الحديث ومجالسه أهله (١٤)·واشتغل بالتدريس فى نيسابور زمنا قصيرا ومات فى عام ٥٠٥هـ · وهو فى رأى ماكد ونالد كان رجلا له مكانه أوغسطين العقلية ، علاوة على ذلك ، كان صوفيا ، ولعب دورا فى رياضاتهم الروحية (أى المتصوفة). (١٥) ·

مؤلفات الغزالى عديدة ومتنوعة نذكر منها : كتاب «احياء علوم الدين» وكتاب «مقاصد الفلاسفة» وفى مستهل هذا الكتاب ، يصرح الغزالى أنه لايريد بيان مذاهب الفلاسفة فيه الا أن يكون مقدمة لابطالها ، وقد كان له ما أراد، اذ وضع كتاب «تهافت الفلاسفة» وكرر القول بأن غرضه من هذا الكتاب بيان تناقض كلمة الفلاسفة وهدم مذاهبهم · وبعد دراسة فى المذاهب ألف فى الرد على الباطنية كتاب «فضائح الباطنية» لقولهم بضرورة معلم معصوم وألف كتابا فى الرد على النصارى سماه «الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل»، وثالثا فى الرد على الاباحية ، هذا عدا كتبه الأخرى كالمنقذ من الضلال»، وميزان الاعتدال» ، وكتاب «المضنون به على غير أهله» ، وكتاب «الجـــام العوام عن علم الكلام» وغيرها كثير مما لا يتسع المجال لذكرها ·

---

(١٤) انظر السبكى : طبقات الشافعية جـ٤ ص ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص ٣١٦ ، ٣٢٧·

(١٥) Macdonald (Duncan Black) : The religious attitude and Life in Islam, chicago, 1909, c. 3, p. 14.

ما يعنينا من هذا كله ، ما يتصل بعلم الكلام ، فهو يذهب فى كتابه «الجام العوام عن علم الكلام» الى القول بأنه فى حكم العوام كل من الأديب والنحوى والمحدث والمفسر والفقيه والمتكلم ، وكل من لم يتجرد لتعلم السباحة في بحار المعرفة ، ويقصر عمره عليه بعد زهد واخلاص وعمل بالشرع. وعلى العامى أن يتمسك بظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل ، والا ينزل بحر النظر العقلى فى أمور الدين لانه بحر عظيم. والغزالى وان أخذ بالمذهب الأشعرى وأيده ، فقد عاب على المتكلمين دراستهم النظرية وآسرافهم فى الجدل والخصومة. فالعامة فى رأيه لا يقدرون على الجدل الكلامى ، ويكفيهم التقليد. وفى رأيه «أن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان ، وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ، ويستضربه الأكثرون» (١٦). وقد أيده فى هذا الرأى ابن خلدون عندما رأى أن تقصر الدراسات الكلامية على الخاصة (١٧). وغاية علم الكلام عند الغزالى حفظ عقيدة أهل السنة وحمايتها من تشويش أهل البدعة ، فهو علم واف بمقصوده ، وهو عنده (أى الغزالى) ليس كافيا ولا لدائه الذى كان يشكوه شافيا (١٨) .

يأخذ الغزالى بما أخذ به الأشعرى فى مشكلة الصفات ، فالله عنده ذات ، لها صفات قديمة مع ذاته. والذات لا تحتاج فى قوامها للصفات ، والصفات محتاجة لها «وكما أن ذات واجب الوجود قديم ، لا فاعل له ، فكذلك صفته قديمة ولا فاعل لها» (١٩). وفى رأيه أيضا أن الله موجود حى، عقل محض ، وهو علة العالم وحده ، خلقه بارادته وقدرته ، وعلمه يحيط

---

(١٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، ص٣٥١.
(١٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣١ (طبعة الشعب) .
(١٨) الغزالى : المنقذ من الضلال ص ١٩ ــ ٢١ ، القاهرة ١٩٦٤ .
(١٩) الغزالى : تهافت الفلاسفة ، ص ١٦٦ ، طبعة بيروت .

بكل شيء ، وهو فوق علمه بكل شيء وقدرته على كل شيء يتصف بانه خير محض ، وانه لا يعزب عنه شيء. والعقل فى رأى الغزالى ، وان وقف عند حدود معينة فى المعرفة ، فالاعتماد عليه ضرورى ، لذا يلائم بينه وبين النقل.

وبالجملة فقد تابع الغزالى الأشاعرة فى فترة من فترات حياته ، ولم يسلم مذهبه فى الكلام من تاثير النظر الفلسفى ، وهو وان قسى على المتكلمين ، فانه لم يقسى على علم الكلام قسوته على الدراسات لعقلية والدليل على ذلك انتقاده الشديد للفلاسفة ومهاجمته لهم فى كتابه «تهافت الفلاسفة».

رابعا : تحليل ونقد : ـ

من استعراضنا السابق لمذهب الأشاعرة وجملة آرائهم كما عبر عنها بعض ممثليهـا ، والذين تخيرنا منهم فى هـــذه الدراسـة مؤسس المذهب أبو الحسن الأشعرى والامام الغزالى ، نستطيع أن نقول :

ـ ان الأشعرى صاغ مذهبه على نسق مذهب أهل السنة والجماعة ، وان صبغة بصبغة عقلية ، فهو مع تمسكه بالنقل أخذ بالعقل وعده خادما للشرع ، فسخره لخـدمة القضايا الدينية والدفاع عن عقيـدة أهـل السنة والجماعة٠واستخدم الحجج الكلامية فى تفنيد مقالات المعتزلة التى لا تتفق مع عقيدة الأشاعرة ٠

وبصفة عامة مذهب الأشاعرة خال من البدع،يعول على الكتاب والسنة كمصدر للمعرفة الدينية ، فحظى بالسيادة والسيطرة على العالم الاسلامى واعتنقه الجمهور الأعظم من الأمة الاسلامية ٠

والأشاعرة مدرسة موحدة موفقه ، فهى موحدة لقولها بتوحيد الله ، قدمه ، وقدم صفاته ، عدله وحكمته ، وتنزيهه عن الجسمانيات٠يجمعها الايمان بكتب الله ورسوله واليوم الآخر ، وامكان رؤية الله من غير تشبيه ولا تعطيل ، والاعتقاد بحدوث العالم ، وبأن ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، وان ثوابه فضل ، وعقابه عدل ، وهو لا حد له ولانهاية ، والمعاد حق ٠

والأشاعرة مدرسة موفقه لأنها حاولت أن تقف موقفا وسطا بين السلف والمعتزلة٠وقد أشرت على نحو تحليلى الى موقفها الوسط عند عرضى لهذه الفرقة آراؤها ومنهجها عند مفكريها ، لذا لا احـد ضرورة لتكرار القول فى موقف الأشاعرة ، وسوف أكتفى فى هذا المقام بالاشارة الى الجوانب التى

وقفوا فيها موقفا وسطا بين السلف والمعتزلة وهى : مشكلة الصفات ، مشكلة خلق القرآن ، آيات التشبيه ٠

ـ أما عن مسألة الرؤية والتى كانت موضع خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة والتى انتهى الأمر فيها الى مخالفة الأشاعرة لرأى المعتزلة فى هذه المسألة واثباتها لامكان رؤية البارى يوم القيامة ، فأغلب الظن أن تعويلهم الأكبر على النصوص من آيات قرآنية وأحاديث نبوية هو دافعهم الأول الى القول بامكان الرؤية ثم أيدوا مقالتهم هذه بالأدلة العقلية ، فكانوا بموقفهم هذا مطبقين بحق لمنهجهم الذى يعول على النقل ثم العقل ٠

ـ أحسن الأشاعرة صنعا بما قدموه من رأى معتدل فى نظرية الكسب، فلم يلقوا بالمسئولية كاملة على الانسان مثلما فعل المعتزلة ، وقالوا بانه رب أفعـاله ان فخير وان شرا فشر ، وفى الوقت ذاته لم ينفوا المسـئولية عن الانسان ، ويجعلوا الله هو خالق أفعال الناس ٠ وفيما أعتقد ، فان أخذ الأشاعرة بالعقل واحتكامهم اليه بعد وزن الأمور بميزان الشرع له مدخل فى قولهم بهذه النظرية ٠

ـ واذا كان فى رأى الأشاعرة أن الأساس هو الوحى ، وأن العقل هو آلة للادراك فقط ، ولا سبيل له لمعـرفة الشئون الالهية ، فـكان الأجـدر أن يبينوا لنا السبيل الى ذلك خاصة وأن الوحى قد أنقطع بعد نزول القرآن على خاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ٠

مهما يكن من أمر ، فالأشاعرة فرقة كلامية معتدلة احتكمت الى النصوص الشرعية عند النظر فى أمور الدين ، فوجدت قبولا واستحسانا من الغالبية العظمى من المسلمين ممن لا يجدوا حاجة الى أعمال العقل واستخدام النظر العقلى ٠

الفصل الخامس

الخـــــوارج

أولا : تعريفهم وأصــل تسميتهم ·

ثانيا : من فرق الخوارج ·

١ ـ الأزارقة ·

٢ ـ النجـــدات ·

٣ ـ الصفرية ·

٤ ـ الاباضية ·

ثالثا : منهجهم وآراؤهم ·

رابعا : نظريتهم في الامامة ·

خامسا : تحليل ونقــد ·

الخـــوارج

أولا – تعريفهم وأصل تسميتهم : –

الخوارج هم من خرجوا على على (رضى الله عنه) وصحبه · يعرفهم الجرجانى بأنهم هم الذين يأخذون العشر من غير اذن سلطان (١) ·والخوارج جمع خارج وهو الذى خلع طاعة الامام الحق واعلن عصيانه ، وألب عليه بعد أن يكون له تأويل ، وعلماء الشريعة يسمونهم بغاه·يقال لهم الحرورية نسبة الى قرية خرجوا اليها قريبة من الكوفه تسمى «حروراء»·يقول البغدادى «ثم ان الخوارج بعد رجوع على من صفين الى الكوفة انحازوا الى حروراء وهم يومئذ اثنا عشر الفا ، ولذلك سميت الخـوارج حـرورية ، وزعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء ، وشعث بن ربعى» (٢) ·

سموا بالنواصب ، والمارقة ، وسموا أيضا «بالشراه» ، أى الذين باعوا أنفسهم لله ، وبالمحكمة أى الذين يقولون لا حكم الا لله ، ويذهب بعضهم الى أن تسميتهم بالخوارج اشتقت من الخروج فى سبيل الله لقوله تعالى «ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله» ·

أما أول ظهورهم فكان عام ٣٧هـ على أثر رجوع سيدنا على من موقعة صفينالتى دارت بينه وبين معاوية ، ويوم أن قبل التحكيم ، وكانوا يرون انه لا ينبغى لعلى يخدع فى أمر التحكيم مادام يؤمن بأنه يحارب من أجل الحق ، فالتحكيم فى نظرهم خطأ ، ويتضمن شك كل فريق من المحاربين أيها

---

(١) الجرجانى : التعريفات ،– ص ٩١ ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى (بدون تاريخ) ·

(٢) الفرق بين الفرق ، ص ٧٢ ، ٧٥ ·

الحق (٣)٠ولكن نزولا على رغبة أصحاب معاوية الذين رفعوا المصاحف ، ودعوتهم أصحاب على الى مافيها قبل على التحكيم ، فاختار معاوية عمرو بن العاص ممثلا له ، واختار أصحاب على أبا موسى الأشعرى٠عندئذ ظهر قوم من جند على نفروا من أن يحكم أحد فى كتاب الله ، وقالوا : لا حكم الا لله ، وانشقوا على سيدنا على وحاولوا أن يحملوه على الرجوع عما اتفق عليه مع معاوية ، وطلبوا منه أن يقر على نفسه بالخطأ بل بالكفر لقبوله التحكيم٠ الا نه رفض أن يذعن لطلبهم فخطأهم وناظرهم وقاتل من بقى على ذلك الاعتقاد (٤) لذا خرجوا الى قرية قريبة من الكوفة تسمى حروراء ، وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى» (٥) فحاربهم على كرم الله وجهه ، وهزمهم فى موقعه النهروان وقتل منهم عددا كبيرا ، فزادتهم هذه الهزيمة امعانا فى كرهه ونقمه عليه ، ودبروا لقتله ، فقتله عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ٠

وقد أرجع الخوارج أسباب خصومتهم لعلى ونقمتهم عليه الى ثلاثة أسباب : احداها انه حكم الرجال فى أمر الله ، وقد قال الله عز وجل (ان الحكم الا لله)٠والثانية : انه قاتل وقتل ولم يسب ولم يغنم٠والثالثة أنه محا عن نفسه أمير المؤمنين ، فانه ان لم يكن أمير المؤمنين فانه لأمير الكافرين٠وقد استطاع على (رضى الله عنه) أن يبطل مزاعمهم(٦) فصدقه

---

(٣) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ ط١٤ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧ ٠

(٤) أحمد بن يحيى بن المرتضى : المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل ، ص ٤ تصحيح توما أرنلد ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ١٣١٦هـ ٠

(٥) فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ، علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٣٤ ٠

(٦) يذكر ابن الجوزى أن الذى أبطل مزاعم الخوارج ورد عليهم قولهم فى أسباب نقمتهم على على هو عبد الله بن عباس ، وأنه بعد تفنيده لمزاعمهم رجع منهم ألفان وخرج سائرهم فقتلوا ٠ انظر تلبيس ابليس ص ٩٢ـ٩٣ ٠

الكثرهم وطلبوا التوبة ، فاستأمن اليه منهم ثمانية آلاف ، وافرد منهم أربعة الاف بقتاله مع عبد الله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير البجلى(٧)٠

وللخوارج فرعان : أحدهما بالعراق ، وأهم مركز لهم البطائح بالقرب من البصرة٠والآخر بجزيرة العرب استولوا على اليمامة وحضرموت واليمن والطائف (٨) ٠

ونظرا لرفض الخوارج خلافة معاوية والأمويين ، فقد ظلت مصدر قلق دائم للدولة الأموية ، ودخلوا معها فى حروب تكاد تكون متواصلة٠وقد ابلى المهلب بن أبى صفره (٩) بلاء حسنا فى قتالهم ، وكذلك فعل الحجاج بن يوسف فاليهما يرجع الفضل فى اضعاف شوكة الخوارج٠اما فى عهد الدولة العباسية فقد خمدت قوتهم ، وضعف شأنهم الا من رحل منهم الى شمال افريقيا وهم من الصفرية والاباضية (١٠) ٠

كان أسلاف الخوارج أعرابا ، قرأوا القرآن دون أن يكون لهم سند من السنن الثابته عن الرسول (ص) ، ولذلك وصفهم ابن حزم (١١) بأنه لم يكن فيهم احد من الفقهاء٠وأغلب الظن أن عدم تأدب الخوارج وأسلافهم بآداب الاسلام كان له أثره السيىء فى نفوس بعضهم ممن تميزوا بالاندفاع والميل الى الثورة والخروج ، ولكننا لم نعدم منهم رجالا ذوى ورع وتقوى أسهموا فى الحركة الفكرية بكتب وضعها شيوخهم الأول وان لم تصلنا (١٢) ٠

---

(٧) الفرق بين الفرق ، ص ٧٩ ـ ٨٠ ٠

(٨) فجر الاسلام ، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ٠

(٩) كان المهب من أشجع الناس وهو الذى حمى البصرة من الخوارج حتى سماها الناس بصرة المهلب٠انظر الذهبى : العبر جـ١ ص ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٩٥ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٨٥ ٠

(١٠) د٠ مدكور : فى الفلسفة الاسلامية ، جـ٢ ص ١١٠ ٠

(١١) انظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ٤ ص ١٥٦ ، القاهرة ١٣١٧هـ ٠

(١٢) الفهرست لابن النديم ، د٠ مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ١١٠ ، علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

ثانيا – من فرق الخوارج (١) : –

نظرا لطبيعة الخوارج العربية البدوية·فهم قوم لا يجمعهم رأى مجمع عليه ، ولا مذهب متكامل سوى التحكيم ونظرية الخلافة ، وهم عشرون فرقة، وكل فرقة تكفر سائرها فى بعض تعاليمها (٢)·وهذه الفرق هى : –

المحكمة الأولى – الأزارقة – النجدات – الصفرية – العجارده – الحازمية – الشعيبية – المعلومية – المجهولية – الصلتيه – الشبيبية – الشيبانية – المعبدية – الرشيدية – المكرمية – الحمزية – الشمراخية – الابراهيمية – الواقفة والاباضية ·

وأشهر فرق الخوارج أربع فرق هى : –

١ – الأزارقة : –

هم أكثر الفرق عددا وأشدهم بأسا ، بايعوا نافع بن الأزرق وسموه أمير المؤمنين ، وهو من أكبر فقهائهم وقد كفر جميع المسلمين ماعداهم·ومن آرائه التى يجمع على قبولها أتباعه :

١ – تكفير على رضى الله عنه لقبوله التحكيم ، واحقاق ابن ملجم ، وتكفير الصحابة رضى الله عنهم وتخليدهم فى النار (٣) ·

٢ – استباحة قتل نساء مخالفيهم وقتل أطفالهم ، وزعمهم أن أطفال مخالفيهم مخلدون فى النار ·

٣ – أن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون ·

٤ – لا يحل لأصحابه المؤمنين أن يلبوا نداء غيرهم الى الصلاة اذا

---

(١) يذهب الخوارزمى فى «مفاتيح العلوم» الى القول بأن الخوارج أربع عشرة فرقة ·

(٢) فجر الاسلام ، ص ٢٦٠ ·

(٣) الجرجانى : التعريفات ، ص ١٢ ·

دعاهم اليها ، ولا أن يتزوجوا منهم ، ولا أن يأكلوا من ذبائحهم(٤) .

٥ ـ استحلال الغدر بمن خالفهم ، واكفار العقدة (٥) ، ولوكان هؤلاء العقدة على مذهبهم .

وقد انضم الى الأزارقة خوارج عمان واليمامة فصاروا أكثر من عشرين الفا استولوا على الأهـواز وما وراءهـا من أرض فارس وكرمان وجبـوا خراجها .والى المهلب بن أبى صفرة يرجع الفضل فى القضاء عليهم ، فقد ثبت هو وبنوه وأتباعه على قتالهم تسع عشرة سنة (٦) .

٢ ـ النجـدات : ـ

أتباع نجده بن عامر الحنفى ، ومن ابرز تعاليمه قوله : ـ

ان الدين أمران : معرفة الله ومعرفة رسله ، والاقرار بما جاء من عند الله اجمالا ، وما سوى ذلك فالناس معـذورون بجهـله الى أن تقوم عليهم الحجة فى الحلال والحرام ، وعذر من استحل باجتهاده شيئا محرما ، وكفر من خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه وزاد على ذلك أن عظم جـريمة الـكذب على الزنا وشرب الخمر ، فمن كذب كذبه صغيرة واصر عليها فهو مشرك ، بينما من زنى وسرق وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم .

٣ ـ الصفرية : ـ

جمع صفرى ، اختلف فى أمر تسميتهم فيقال صفرى بضم الصاد وسكون الفاء ، ويحتمل أن تـكون تسميتهم اشـارة الى صفره وجـوههم من كثرة ما تكبدوه من السهر والعبادة ، أو أن تكون تسميتهم نسبة الى جمع الأصفر

---

(٤) الفرق بين الفرق ، ص ٨٣ ، تلبيس ابليس ص ٩٥ .

(٥) أى الذين يقعدون عن القتال مع قدرتهم عليه .

(٦) الفرق بين الفرق ص ٨٥ ـ ٨٦ .

وهو زياد بن الأصفر ، وهم بذلك أتباعه : وهم يتفقون مع الأزارقة فى أن اصحـاب الذنوب مشركون ، ويخـالفوهم فى عـدم قتـل أطفال مخالفيهم ونسائهم ·

٤ ـ الاباضية : ـ

تنتسب هذه الفرقة الى عبد الله بن اباض التميمى·ظهر فى النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، وهو امامهم الذى يتفقون معه فى القول : بأن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين ، وأن كفار هذه الأمة براء من الشرك والايمان·وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مشركين ، ولكنهم كفار وأحلوا التزوج والتورث منهم ، وأجازوا شهادتهم ، وحرموا دماءهم في السر ، واستحلالها فى العلانية·وزعموا فى ذلك محاربون لله ولرسوله·وهم يبروئن من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة·ويلتقون مع أهل السنة والأشاعرة في القول بأن الله خالق أفعال العباد جميعها،وليس لهم الا مجرد اكتسابها(٧)·

وقد افترقت الاباضية الى أربع فرق هى : الحفصية والحارثية واليزيدية، وأصحاب طاعة لايراد الله بها (٨)·والاباضية يميلون الى المسالمة ، ولايزال أتباعهم فى المغرب الى اليوم ·

تلك كانت نبـذة سريعة عن أهم فرق الخـوارج وقد أنقرضت جميعها

---

(٧) الأشعري : مقالات الإسلاميين جـ١ ص ١٢٤ ·

(٨) زعمت هذه الفرقة من الاباضية أنه يصح وجود طاعات كثيرة ممن لايريد الله تعالى بها ، ولكن هذا لا يصح الا فى طاعة واحدة ، وهو النظر الأول·فان صاحبه اذا استدل به كان مطيعا لله تعالى في فعله وان لم يقصد التقرب الى الله تعالى ، لاستحالة تقربه اليه قبل معرفته ، فاذا عرف الله تعالى فلا يصح منه بعد معرفته طاعة منه لله تعالى الا بعد قصده التقرب بها اليه·انظر الفرق بين الفرق ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، الكشاف الفريد جـ١ ص ٨٩ ·

الا طائفة من الاباضية تقيم جهة عمان وفى جزيرة جربه اتجاه تونس وفى جنوبي الجزائر وغرب ليبيا (٩)٠والاباضية هي الفرقة الوحيدة المعتدلة من فرق الشيعة ، ولم تنشأ الا حديثا (١٠) ٠

---

(٩) الكشاف الفريد جا ص ٩٣

(١٠) John Alden Williams : Islam, New york, 1961, p. 214.

ثالثا - منهجهم وآراؤهم : -

تميزت فرقة الخوارج فى مستهل ظهورها بصبغة سياسية وفى عهد عبد الملك بن مروان مزجت تعاليمها السياسيه بإلحات دينية ، وكان ذلك على يد الأزارقة ولعل أهم آراؤهم ما يلى : -

١ - أن العمل بأوامر الدين جزء من الايمان ·

٢ - لا يصح الايمان بغير عمل ، فمن اعتقد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم لم يعمل بفروض الدين وارتكب الكبائر فهو كافر(١)·

٣ - يحكمون بالنار لكل فاسق مات على فسقه ، فمن ارتكب معصية ولم يتب منها قبل موته يموت كافرا ويخلد فى النار (٢)·وأن الباغى على الامام الحق والخارج عليه بشبهه أو بغير شبهة فاسق ، ولا يخصون هذا الأمر على على وحده ، وانما لو خرج قوم من المسلمين على غيره من ائمة الاسلام العدول فان حكمهم حكم من خرج على على صلوات الله عليه (٣)·

٤ - الاعتقاد أنهم على الصواب ، وأن على بن أبى طالب ومن معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ (٤) ·

٥ - القول بالتبرى عن عثمان وعلى ، فعثمان فى نظرهم قد خالف نهج أبى بكر وعمر ، وعلى أخطأ بل كفر فى قبوله التحكيم·وهم يقدمون هذه الفكرة على كل طاعة ، ولا يصحون المناكحات الا على ذلك،ويكفرون أصحاب الكبائر (٥) ، بل تكفير أهل الذنوب بصفة عامة·كما استولت عليهم

---

(١) فجر الاسلام ، ص ٢٥٩ ·

(٢) د· محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ص ١٦٥ ط٤·دار المعارف ١٩٨٢ ·

(٣) ابن أبى الحديد : شرح نهج البلاغة جـ١ ص ٩ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م·

(٤) الفرق بين الفرق ، ص ٧٣ ·

(٥) الشهرستانى : الملل والنحل بهامش الفصل جـ١ ص ١٥٦ - ١٥٧·

فكرة البراءة من عائشة وطلحة والزبير اصحاب وقعة الجمل ، وطرفى التحكيم فى وقعة صفين وهما : عمرو بن العاص ، وأبى موسى الأشعرى ، وكذلك حكام بنى أمية الظالمين .

٦ ــ استحلال دم على كرم الله وجهه ، ودم الأطفال بينما لايستحل أكل ثمرة بغير ثمنها .

٧ ــ وجوب الخروج على الامام الجائر حتى أنهم ساعدوا عبد الله بن الزبير ــ منهم ــ كما رأوه خارجا على يزيد لاعتقادهم الجور فى يزيد ، وهم بهذا الرأى يلتقون مع المعتزلة ، وهذا فضلا عن اتفاقها فى القول بخلق القرآن ، وبالوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والحسن والقبح العقليين ، وتأويل المتشابه ، وعدم امكان رؤية البارىء فى الآخرة. ومنع الظلم على اللـه ، وتأكيد حرية الفرد وقدرته على خلق عمله ، ولا يختلفون عنهم الا فى صفة الارادة فهى عند الاباضية أزلية وعند المعتزلة حادثة (٦) ، وكذلك فى قولهم بوجوب تفسير القرآن من الناحية اللغوية(٧).

٨ ــ الاعتقاد بأنهم أعلم من على رضى الله عنه بل وأعلم من رسول الله (ص) فقد روى ابن الجوزى أن ذو الخويصره (٨) ــ وهو أول خارجى خرج فى الاسلام ــ قال لرسول الله (ص) أعدل ، فقال ويلك ومن يعدل اذا لمهأعدل،وأنه كان لايرتضى الا برأى نفسه ، وأنه لو وقف لعلم انه لا رأى فوق رأى رسول الله (ص) (٩) .

---

(٦) الأشعرى : مقالات الاسلاميين جـ١ ص ١٢٤،تحقيق وتقديم ريتر ــ استانبول ١٩٢٩ .

(٧) John Alden Willims : Islam, New york, 1961, p. 215.

(٨) اتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا على بن أبى طالب .

(٩) تلبيس ابليس ص ٩٠ ، ص ٩٥ .

٩ – التمسك بالكتاب ورد السنة اذا لم يرد ماأيؤيدها صراحة فى القرآن. فقد ذكر ابن تيمية ان الخوارج لا يتمسكون من السنة الا بما فسر مجملها دونما خالف ظاهر القرآن عندهم فلا يرجمون الزانى ولا يرون للسرقة نصابا (١٠) .

والخوارج كما وصفهم الشهرستانى أهل صوم وصلاة ، يؤيد ذلك ما قاله أبو حمزه الخارجى فى وصف أصحابه : «شباب والله مكتهلون فى شبابهم ، غضيضة عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطن ارجلهم ، انضاء عباده ، واطلاح سهر ، فنظر الله اليهم فى جوف الليل منحنيه أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه ، موصول كلالهم بكلالهم ، كلال النهار ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى اذا رأوا السهام قد فوقت ، والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتصبت ، ورعدت الكتيبة بصواعق الموت ، وبرقت ، استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ، ومضى الشباب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليه سباع الأرض ، وانحطت اليه طير السماء فكم من عين فى منقار طير طالما بكى صاحبها فى جوف الله من خوف الله! وكم من كف زالت عن معصمها طالما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله !» (١١) .

وهم مع شدة اجتهادهم وتشددهم فى العبادة الا أن صلاتهم وصيامهم لم يرض عنها رسول الله (ص) ، فقد روى الامام مسلم فى صحيحه بسنده عن زيد بن خالد الجهنى : انه كان فى الجيش الذين كانوا مع على رضى الله

---

(١٠) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٣ ص ٤٨ عن كتاب البدعه ص ٢٩١ .

(١١) فجر الاسلام ص ٢٦٢ .

عنه ـ الذين ساروا الى الخوارج ـ فقال على رضى الله عنه : ايها الناس انى سمعت رسول الله (ص) يقول : «يخرج قوم من امتى يقرءون القرآن ، ليس قراءتكم الى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشىء ولا صيامكم الى صيامهم بشىء ، يقرءون القرآن ويحسبون أنه لهم وهو عليهم • لاتجاوز صلاتهم تراقيهم (١٢) يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية (١٣) • لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم (ص) لا تكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع ، على رأس عضدة مثل حلمه الثدى عليه شعرات بيض فتذهبون الى معاوية واهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم ، والله انى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم ، فانهم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا فى سرح الناس (١٤)، فسيروا على اسم الله» (١٥) •

* وذكرنا لهذا الحديث كاملا يوقفنا على كثير من الحقائق عن الخوارج: فقراءتهم للقرآن ليست هى القراءة الصحيحة ، وصلاتهم ليست هى الصلاة الواجبة شرعا ، فالصلاة الواجبة عند الخوارج ـ كما ذكرها أبو اسماعيل البطيحى وأصحابه وهم من الخوارج ـ ركعة واحدة بالغداه ، وركعة أخرى بالعشى فقط (١٦) ، وصيامهم غير صيامنا • ويشير الرسول (ص) فى نهاية الحديث الى طبيعتهم البدوية ، وميلهم الى سفك الدماء ونهب الأموال •

---

(١٢) المقصود عدم استفادتهم من العبادة •

(١٣) أى يخرجون من الاسلام خروج السهم اذا نفذ فى الصيد المرمى وخرج من الناحية المقابلة •

(١٤) المقصود الانعام التى ترعى ومن يرعاها •

(١٥) النووى على صحيح مسلم : جـ٧ ص ١٧١ ، وفى البخارى بعضه بنحوه جـ٤ ص ١٦٠ ، جـ٩ ص ١٥ •

(١٦) الكشاف الفريد جـ١ ص ٩٤ ، الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، جـ٥ ص ٣٠ •

والخوارج مع اخـلاصهم لعقيـدتهم وقتالهم دفاعا عنها وشجاعتهم النادرة فى دعوتهم الى مبادئهم ، فالحج فى رأيهم فى جميع شهور السنة ٠

واستنادا الى ما ذكره الشـهرستانى فى الملل والنحـل ، وأبو الحسن الأشعرى فى مقالات الاسلاميين ، والكعبى فى مقالاته ، وابن عبد ربه فى العقد الفريد والبغدادى فى الفرق بين الفرق،فالخوارج مجمعون على اكفار على وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ، بل وكل من رضى بتحكيم الحكمين، والاكفار بارتكاب الذنوب ، وهم بالجملة قد خرجوا عن الدين خروجا كليا أو جزئيا على نحو ما فصلته الروايات الصحيحة فى كتب السنة (١٧) ، فاستحقوا وصف الرسول لهم بأنهم كلاب أهل النار (١٨) ، ولذلك قاتلهم على ابن أبى طالب للقضاء عليهم وعلى شرورهم ٠

---

(١٧) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، جـ٥ ص ٣٠ ، الكشاف الفريد جـ١ ص ٩٤ ٠

(١٨) تلبيس ابليس ص ٩٦ ٠

رابعا - نظريتهم فى الامامه : -

اهتم الخــوارج - كغيرهم من الفرق الاســلامية - بمسألة الامــامة أو الخلافة ، فشغلوا بالبحث فيمن هو جدير بالخلافة ومن هو غير جدير بها ، وأعمال الخلفاء وأتباعهم ، ووضعوا نظرية بلوروا فيها جملة آرائهم فى هذه المشكلة خلاصتها :

- ان الخلافة يجب أن تكون بالاختيار ، فاذا انعقدت البيعة للخليفة ، فليس يصح أن يتنازل أو يحكم ، ويجب أن يخضع خضوعا تاما لما أمر الله، والا وجب عزله · ويجوز الخروج على الامام الجائر بالسيف الا الاباضية ، فقد رأوا ازالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة اما بالسيف أو بغير السيف (١) ·

- كما يشترط فى الامام أن يكون تقيا عادلا·فعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى (ص) قال : «انما الامام جنة (٢) يقاتل من ورائه ويتقى به ، فان أمر بتقوى الله عز وجل وعدل ، كان له بذلك أجر ، وان يأمر بغيره كان عليه منه» (٣) ·

- والفرق الاسلامية وجميع الخوارج متفقون على وجوب أن يجتمع فى الخليفة العلم والزهــد وعلى وجــوب الامامة (٤) الا المحــكمة الأولى

---

(١) الأشــعرى : مقــالات الاســلاميين جـ١ ص ١٨٩ ، تحقيــق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٠ ·

(٢) جنة أى وقاية · والمراد أن الامام بمثابة الوقاية لما يحدث بالداخل أو الخارج ، فيقى الناس من أن يعدو بعضهم على بعض ، ويقى المسلمين من أذى الأعداء ·

(٣) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذرى ص ٣٢٨ ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ، المكتب الاسلامى ، ط ٣ ١٩٧٧ ·

(٤) يذهب أهل السنة الى القول بضرورة نصب الامام ، وأن الأرض لا يجوز أن تخلو من امام·والشيعة وان وافقوا أهل السنة على هذا الرأى ، =

والنجدات من الخوارج فلم تر الأولى ضرورة فى أن يكون فى العالم امام أصلا (٥) ، ولم تر الثانية ضرورة فرض الامامة وان كان على الناس أن يتقاضوا الحق فيما بينهم ، لقول نجدة بن عامر «لا حاجة للناس الى امام قط ، وانما عليهم أن يتقاضوا فيما بينهم ، فان رأوا أن ذلك لايتم الا بامام عليه فأقاموه جاز» (٦) ·

ـ أجازت الشبيبة(٧) امامة المرأة وخلافتها على مايظهرنا عليه المقريزى فى الخطط ، وقول البغدادى فى «الفرق بين الفرق» : «ومازال (يقصد شبيب) كذلك حتى هزم للحجاج عشرين جيشا فى مدة سنتين ، ثم أنه كبس الكوفة ليلا ومعه ألف من الخوارج ، ومعه أمة غزالة ، وامرأته جهيزة فى مائتين من نساء الخوارج قد اعتلقن الرماح وتقلدن السيوف ، فلما كبس الكوفة ليلا قصد المسجد الجامع وقتل حراس المسجد والمعتكفين فيه ، ونصب أمة غزالة على المنبر حتى خطبت» (٨) ·

ـ قالوا بتجويز أن تكون الامامة فى غير قريش مدللين على صحة رأيهم بما ورد فى القرآن الكريم من آيات لا يتضح فيها شرط القرشية ،

=

فالامام فى رأيهم اما أن يكون ظاهرا أو مستترا ·والامامة عندهم هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولا يجوز لنبى اغفالها وتفويضها الى الأمة ، بل يجب عليه تعين الامام لهم ، ويكون معصوما عن الكبائر والصغائر ، وأن عليا بن أبى طالب هو الخليفة المختار المنصوص عليه من النبى (ص) · وأنها قضية مصلحية اجماعية ولا تلحق بالعقائد·ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٩ ، وطبعة الشعب ·

(٥) الملل والنحل جـ١ ص ١١٦ ، القاهرة ١٩٦١ ·

(٦) المصدر السابق جـ١ ص ١٦٧ — ١٦٨ ·

(٧) أتباع شبيب بن يزيد بن أبى نعيم الشيبانى الخارجى فى خلافة عبد الملك بن مروان خاض العديد من المعارك مع الحجاج بن يوسف الثقفى، انتصر فى الكثير منها ، ومات غرقا وهو يركب جسر الدجيل ليعبر اليه ·

(٨) الفرق بين الفرق ص ١١٢ ، خطط المقريزى جـ٤ ص ١٨٠ ، القاهرة ١٣٢٤هـ ·

وانما تشير فقط الى وجوب الحكم بالعدل ، وطاعة أولى الأمر أى الحكام على نحو ما ورد فى قوله تعالى فى سورة النساء : «ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا · يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الآمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا» (٩) ·

ومن الأحاديث النبوية التى تشير الى ضرورة الحكم بالعدل : عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله (ص) «ان المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن عز وجل ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وماولوا» (١٠) ·

ـ كما جوزوا أن يكون الامام عبدا حبشيا أو حرا أو نبطيا (١١) ، فقد روى مسلم فى صحيحه عن يحيى بن حصين عن حدثه أم الحصين،قال : سمعتها تقول : حجت مع رسول الله (ص) حجة الوداع ، قالت : فقال رسول الله (ص) قولا كثيرا ، ثم سمعته يقـول : «ان أمر عليـكم عبد مجـدع (حسبتها قالت)أسود،يقودكم بكتاب الله تعالى ، فاسمعوا له وأطيعوا»(١٢)·

والخوارج وان وافقوا المعتزلة ممثلين فى أبو على الجبائى فى قوله بأن الامامة جائزة فى غير قريش (١٣) فانهم خالفوا شرط القرشية لقوله(ص)

---

(٩) سورة النساء ، الآية ٥٨ ، ٥٩ ·

(١٠) مختصر صحيح مسلم ، للحافظ المنذرى ص ٣٢٩ ·

(١١) النبطى نسبة الى النبط بفتحتين اخلاط الناس وعوامهم ، تلبيس ابليس ص ٩٦ ·

(١٢) مختصر صحيح مسلم للمنذرى ص ٣٣٢ ·

(١٣) تلبيس ابليس صد ٩٦ ، فى الفلسفة الاسلامية ، جـ ٢ ص ١١٠·

«الأئمة من قريش» (١٤) ، وكما رواه البخارى عن معاوية انه قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : «ان هذا الأمر فى قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين» ·وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) «الناس تبع لقريش فى الخير والشر» (١٥) · وعن ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنه ، قال ، قال رسول الله (ص) لايزال هذا الأمر(١٦) فى قريش ما بقى من الناس اثنان (١٧) ·

ـ واذا كان الخوارج يحتجون بشواهد نقلية تفيد عدم اشتراط شرط القرشية ، فليس معنى ذلك أن عدم ذكر هذا الشرط فى بعض الآياتوالأحاديث تنفى هذا الشرط تماما ، اذ قد لا تستدعى المناسبة التى وردت فيها الآية الكريمة أو الحديث الشريف الذى يحتجون به ذكر هذا الشرط ، وانما الأولى بنا أن نتمسك بهذا الشرط اذا ما ورد فى أى حديث صحيح متفق عليه ، والا فما قول الخوارج فيما روى عن عامر بن سعد بن أبى وقاص حين قال: كتبت الى جابر بن سمرة مع غلامى نافع أن أخبرنى بشىء سمعته من رسول الله (ص) قال : فكتب الى : سمعت رسول الله ·· فقال : «لايزال الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش» (١٨) ! ·

---

(١٤) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ص ١٨٣ ، القاهرة ١٩٣٩ ·

(١٥) مسلم جـ١٢ ، ص ٢٠٠ بشرح النووى ، طبعة الشعب ·

(١٦) المراد بالأمر هنا الخلافة ، أى لايزال الذى يليها قرشيا ·

(١٧) مسلم جـ٩ ص ٥٢ ، جـ١٢ ص ٢٠١ بشرح النووى،مختصر صحيح مسلم للمنذرى ص ٣٢٦ ، البخارى جـ٥ ص ١٤٣ طبعة الشعب ·

(١٨) راجع باب الخلفاء من قريش فى مختصر صحيح مسلم للمنذرى ص ٣٢٦ ·

خامسا : تحليل ونقد :

تبينا من دراستنا لمنهج الخوارج وآراؤهم الكلامية وخاصة ما تعلق منها بمشكلة الخلافة او الامامة انهم فرقة كلامية ليس لها مذهب متكامل او تعاليم ثابتة يجمع على قبولها كل الخوارج ، وانما هم فرق مختلفة يكفر بعضهم بعضا فيما يعتنقوه من تعاليم ، ولا يجمعهم سوى التحكيم ونظرية الامامة ، وهى من أهم المسائل التى شغلوا بالبحث فيها ، ووضعوا نظرية بشانها ، وقد عرضت لها بشىء من التفضيل ، وبينت أهم آراؤهم فيها وخلاصتها :

ان الامامة ليست أمرا واجبا ، ومن الممكن ان يكون الامام اى مؤمن ورع حتى ولو كان عبدا حبشيا (١) ، وهذا فى رأى بعض الباحثين يدل على أن مبادئهم ديمقراطية (٢) .

- وهم بقولهم عدم اشتراط شرط القرشية فى الامامة قد خالفوا أهل السنة القائلين بهذا الشرط ، ونظرية الشيعة القائلة بانحصار الخلافة فى آل بيت النبوة .

- أما تعصبهم لنظرية الامامة ، واعتقادهم بأن شروط الامامة لم تنطبق على الخلفاء الأمويين ثم العباسيين ، وأنهم جائرون ظالمون فهو الذى دفعهم الى الخروج عليهم ، وهذا لعمرى تعصب يفيض زاده حدة عدم تثبتهم من أمور دينهم ، وافتقارهم الى من يفقهم فيها ، والا فما قولهم فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم» وفيما رواه أبى هرير رضى الله عنه عن النبى (ص) انه قال : من أطاعنى

---

(١) Williams (J.A.) : Islam, New york, 1964, p. 215.

(٢) Macdonald : Development & muslim theology, New york' 1926, p. 23.

فقد أطاع الله ، ومن يعصنى فقد عصا الله ، ومن يطع أميرى فقد أطاعنى، ومن يعصى أميرى فقد عصانى» (٣) !!

فطاعة الامام واجبة بنص القرآن والأحاديث النبوية الا فى حالة المعصية او أمره بمعصية ، عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى (ص) أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، الا أن يؤمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة» (٤) ، ولا يجوز الخروج على الامام الا اذا ارتد عن الدين أو منع اقامة الشعائر الدينية .

فعن جناده بن أبى أمية قال : دخلنا على عبـاده بن الصـامت وهو مريض ، فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله (ص) فقال : دعانا رسول الله (ص) فبايعنا ، فكان فيما أخذ علينـا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا ، واثره علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : «الا أن تروا كفر بواحا عندكم من الله فيه برهان» (٥) .

هكذا بينت لنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كل ما يتعلق بمسألة الامامة من حقوق وواجبنا ، وواجبنا نحن المسلمون أن نتمسك بما جاء فيهما حتى لا نضل أو نضل لقوله (ص) : تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا «كتاب الله وسنتى» .

والخوارج وان اتفقوا مع أهل السنة فى القول بأن الله خالق افعال الناس ، وليس لهم الا اكتسابها ، فان اتفاقهم مع المعتزلة أشد وأعمق وفى

---

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذرى ص ٣٣٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٣٢ .

(٥) مسلم جـ٢ ص ٢٢٨ ، بشرح النـووى ، ومختصر صحيح مسـلم بشرح المنذرى ص ٣٣١ ، البخارى جـ٩ ص ٦٤ .

اكثر من مسألة كالقول بخلق القرآن ، وعدم امكان رؤية الله يوم القيامة وتأويل المتشابه من الآيات ، والحسـن والقبح العقليين ، وبعض أصـولهم كالوعد والوعيد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجواز الامامة فى غير قريش وتأكيد الحرية الفردية •

والخوارج مع ايمانهم بالله وحرصهم على العبادة ، الا ان عبادتهم لا ترضى الله ورسوله ولا اى مسلم صحيح العقيدة والايمان ، فتطرفهم فى اداء العبادة وتعصبهم الزائد يخرجهم عن الدين الحنيف •

الفصل السادس

الشـــيعة

أولا : من هم الشيعة ؟ ٠

ثانيا : نشأة الشيعة وبداية ظهورهم ٠

ثالثا : فرق الشيعة وأساس مذهبهم : ـ

١ ـ الكيسانية ٠

٢ ـ الزيدية ٠

٣ ـ الغالية ٠

٤ ـ الامامية ٠

٥ ـ الاسماعيلية ٠

رابعا : تحليل ونقد : ـ

الشـــيعة

أولا ـ من هم الشيعة ؟ ـ

يختلف تعريف الشيعة من حيث اللغة عن تعريفها فى الاصطلاح العـام عند الفقهاء والمتـكلمين. فكلمة شيعة بالـكسر تعنى فى اللغة أتبـاع الرجـل وأنصاره ، والفرقة على حـده ، ويقع على الواحـد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث(١)، فهم الصحب والأتباع أما تعريف الشيعة عند الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف فيطلق على أتباع وبنيه رضى الله عنهم (٢) . يقول النوبختى «الشيعة هم فرقة على بن أبى طالب المسمون بشيعة على فى زمان النبى (ص) وما بعده (٣) .

ويعرفهم الجرجانى فيقول : «هم الذين شـايعوا عليـا رضى الله عنه ، وقالوا انه الامام بعد رسول الله ، واعتقدوا أن الامامه لاتخـرج عنه وعن أولاده»(٤)وانما قيل لهم الشيعة لأنهم شيعوا عليا رضوان الله عليه ،ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله (ص) (٥) .

وأصل الشيعة الفرقة من النـاس ويقع على الواحد والاثنين والجمـع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد. فمن اطلاقها على الواحد والمذكر والمؤنث قولهم فلان شيعة لعلى ، وكانت فلانه شيعة لعلى. ومن اطلاقها على الجمع قوله تعالى : هذا من شيعته ، وهـذا من عـدوه فاستغاثة الذى من

---

(١) القاموس المحيط جـ٣ ص ٤٧ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٦٣ .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٥ ، طبعة الشعب .
(٣) انظر كتاب الفرق والمقالات ، اعيان الشيعة جـ١ ص ١٧ .
(٤) الجرجانى : التعريفات ص ١١٤ ، الملل والنحل ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .
(٥) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٥ ، قام بتصحيح الجزء الأول هـ ـ ريتر استانبول ، مطبعة الدولة عام ١٩٢٩ .

شيعته على الذى من عدوه ، وقوله تعالى : «وان من شيعته لابراهيم» (٦)٠

ونظرا لغلبة اسم الشيعة على من يناصر عليا وأهل بيته ، فقد صار هذا الاسم خاصا بهم ، وأصل ذلك من المشايعة أى المتابعة والمطاوعة٠فهم من ناصروا عليا وشايعوه والتفوا حوله ، وجعلوه اماما لهم ، نصا ووصيه ٠

---

(٦) السيد محسن الأمين العاملى : أعيان الشيعة جـ١ ص ١٥ ـ ١٦ ط٣ مطبعة الانصاف بيروت ١٣٧٠ ٠

ثانيا : نشأة الشيعة وبداية ظهورهم :

اختلفت الآراء حول تحديد نشأة الشيعة وبداية ظهورهم·ممن قائل ان الشيعة بالمعنى الاصطلاحى ـ كفرقة من الفرق الاسلامية ـ لم تظهر الا على أثر مقتل عثمان وقيام الفتنة الكبرى (١) ·وهناك من يرى أن كلمة الشيعة لم تأخذ صورتها الاصطلاحية للدلالة على الانتماء الى الحزب الذى يوالى عليا وبنيه ويعادى الأمويين الا بعد مقتل الحسين ، فأطلق لفظ الشيعة على أنصار العلويين من التوابين الذين كانوا يعدون أنفسهم للثورة على الأمويين انتقاما لمقتل الحسين ابتداء من سنة ٦١هـ (٢) ، بل وهناك من يرى أن دعوة التشيع فى الاسلام دعوة شعوبية قديمة لها أصولها الأولى التى كانت بين والعرب من قبل الاسلام ، وأنها لم تظهر ولم تنشأ الا على يد الفرس أو من كان في مثل اتجاهم من بعض الأفراد الذين لهم زيغ فى العقيدة ، ولهم مثل هذه الميول الفارسية من اليهود والنصارى أو غيرهم (٣) ·

والثابت تاريخيا ، كما يقول الأستاذ أحمد أمين (٤) ، أن التشيع لعلى بدأ قبل دخول الفرس فى الاسلام ، ولكن بمعنى ساذج·وبعد وفاة النبى وجد هذا الحزب ، ونما بمرور الوقت وبالمطاعن فى عثمان·وبدخول عناصر أخرى فى الاسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية اصطبغ التشيع بصبغة دينهم ، فاليهود تصبغ الشيعة يهودية ، والنصارى نصرانية وهكذا ، وفى

---

(١) د· مدكور : فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٦٠

(٢) البلاذرى : أنساب الأشراف جـ٥ ص ٢٠٦ القدس ١٩٣٦ ، د· كامل مصطفى الشيبى : الفكر الشيعى والنزعات الصوفية فى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى ص ١٥ ، مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٦ ·

(٣) د· ابراهيم ابراهيم هلال : نظرية المعرفة الاشراقية جـ٢ ص٣. دار النهضة العربية ١٩٧٨ ·

(٤) فجر الاسلام ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ·

رأيه أن أكبر الأثر فى التشيع انما هو للفرس لأن أكبر عنصر دخل فى الاسلام هو العنصر الفارسى ٠

أما الشيعة أنفسهم فيذهبون الى القول بأن أول من وضع بذرة التشيع فى الاسلام هو النبى (ص) ويدللون على صحة رأيهم بقوله (ص) «يا على أنت وأصحابك فى الجنة» (٥) وقوله (ص) «والذى نفسى بيده ان هذا - أى عليا - وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» (٦) ٠

ويؤيدهم فى هذا الرأى المرحومان : الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء - من الشيعة المتأخرين - والاستاذ أحمد أمين ، فالتشيع فى رأيهما ، ظهر فى حياة النبى نفسه (٧) غير أنه كان تشيعا روحيا ، فالشيعة الأوائل كانوا يرون فى على صفات روحية وخلقية يتميز بها عن باقى المسلمين فأيدوه وناصروه ٠ يذكر اليعقوبى أنه تخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين ومالوا مع على بن أبى طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس ، والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن أسود ، وسلمان الفارسى ، وأبو ذر الغفارى ، وعمار بن ياسر ، والبراء بن العازب ، وأبى بن كعب(٨) ٠

واستمر حب المسلمين لعلى بل وتعصبهم له حين عاضدوه على معاوية واستماتوا فى نصرته ، ومع ذلك لم يتسم التشيع بطابع سياسى الا بعد معركة كربلاء ومقتل الحسين ، وهو من أكبر الأحداث السياسية والروحية فى الاسلام ٠

---

(٥) ابن حجر : الصواعق المحرقة ص ١٥٩ مصر ١٣٧٥هـ ٠
(٦) الاستاذ محمد حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٠٩ - ١١٠ ط١١٠ ط١٠ القاهرة ١٩٥٨ ٠
(٧) أصل الشيعة وأصولها ص ٨٧ ، ضحى الاسلام ج٣ ص ٢٠٩ ، د٠ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٧ دار المعارف بمصر (بدون تاريخ) ٠
(٨) تاريخ اليعقوبى ج٢ ص ١٠٣ ، الصلة بين التصوف والتشيع ص١٩ ٠

اما عن البلاد التى يغلب عليها التشيع فهى طنجة وماوالاها والكوفة والبصرة والمدائن (٩) ٠

جملة القول أن كلمة الشيعة كانت فى مبدئها خاصة بمن شايعوا عليا وناصروه وآمنوا بحقه فى الامامة وأفضليته على غيره من الصحابة ٠ «ولفظ الشيعة على عهد رسول الله (ص) كان لقب أربعة من الصحابة ٠ ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه على وجه على بن ابى طالب ، واظهار الطلب بدم عثمان واستمالته عددا عظيما من المسلمين ، الى ذلك صار أتباعه يعرفون بالعثمانية ، وصار أتباع على يعرفون بالعلوية مع بقاء اطلاق اسم الشيعة عليهم ، واستمر ذلك مدة ملك بنى أمية» (١٠) ثم اصبح هذا الحب والولاء لعلى وأهل البيت قناعا يتخفى فيه الحاقدون على الاسلام من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل الأخرى كالمزرادشتية والهندية ، ولعل هذا ماقصده الأستاذ أحمد أمين حين قال : «فاليهودية ظهرت فى التشيع بالقول بالرجعة ٠وقال الشيعة : ان النار محرمة على الشيعى الا قليلا ، كما قال اليهود : «لن تمسنا النار الا أياما معدودات» ٠والنصرانية ظهرت فى التشيع فى قول بعضهم : أن نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه ، وقالوا ان اللاهوت اتحد بالناسوت فى الامام ، وأن النبوة والرسالة لن تنقطع أبدا ، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبى ٠وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح ، وتجسيم الله والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التى كانت معروفة عند البراهمة ، والفلاسفة والمجوس من قبل الاسلام» (١١) ٠

مهما يكن من اختلاف الآراء حول مبدأ ظهور الشيعة فمنشؤها كان

---

(٩) الأشعرى : مقالات الاسلاميين ص ٦٤ ، انساب الاشراف ص ٢٠٦٠
(١٠) أعيان الشيعة جـ١ ص ١٧ ٠
(١١) فجر الاسلام ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧ ٠

لغرض سياسى ، اذ نشأ حزب أنصار على وهم «الشيعة» بعد أن غلب معاوية - والى الشام - عليا وولديه الحسن والحسين ، وظل هذا الحزب يدافع عن كيانه ويتخذ صورا شتى مع التاريخ تخضعه القوة تارة ويصل الى السيادة فى نواح متفرقة تارة أخرى حتى تمثل آخر الأمر (١٥٠٢م) فى امبراطورية الفرس الشيعية ، وانفصل عن الاسلام السنى انفصالا نهائيا (١٢)

والشيعة كفرقة فى الجماعة الاسلامية لم تظهر الا فى أواخر حيـاة على بن أبى طالب نتيجة محـاربة الخـوارج والأمويين له ، وكان اختلاف ميولهم وبواعثهم سببا فى تشعبهم الى عدة فرق ٠

(١٢) دى بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الترجمة العربية ، ص ٦ ٠

ثالثا - فرق الشيعة وأساس مذهبهم : -

اذا أردنا أن نتحدث عن الشيعة كفرقة كلامية ، فان أول مايتبادر الى أذهاننا هو موقفهم من مشكلة الامامة خاصة وأنهم قد انفردوا بالقول بالنص والتعيين ، ويتفقون جميعا على أن الامام المنصوص عليه بعد النبى (ص) هو على بن أبى طالب وذريته من بعده ، وأن الامامة ليست من المصالح العامة التى تفوض الى نظر الأمة ، بل هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ، ولايجوز لنبى اغفاله ولا تفويضه الى الأمة ، بل يجب عليه تعيين الامام لهم ، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر ، وأن عليا رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه (١) .

هذا الموقف العقائدى المتميز ، فيما يتعلق بمشكلة الامامة ، جعل الشيعة يختلفون عن باقى الفرق الاسلامية الأخرى القائلة بالاتفاق والاختيار كالمعتزلة وأهل السنة والخوارج والمرجئة ، بل وقد اختلف الشيعة ، فيما بينهم فى أمور تتعلق بالامامة كمساقها فى ذرية على بن أبى طالب ومسألة جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل ، هذا فضلا عن تعلقهم ببعض الأئمة ، وتعدد ميولهم فى الأصول ، فبعضهم يميل فى الأصول الى الاعتزال ، وبعضهم الى السنة ، وبعضهم الى التشبيه (٢) مما أدى الى انقسامهم الى خمس فرق هى :

الكيسانية ، الزيدية ، الغالية ، الامامية والاسماعيلية ، وهى ماسأحاول أن أتحدث عنها الآن بشىء من التفصيل .

١ - **الكيسانية :** أصحاب «كيسان» مولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٢) د. التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٣٠ ، الملل والنحل ص ٢٧٩ .

كرم الله وجهه ، وقيل تلميذ للسيد محمد بن الحنفية ٠

والكيانيه أربعة (٣) أصناف : ـ **أولهم المختارية** : أصحاب مختار ومن مذهبه تجويز البداء (٤) على الله ، وقوله بامامة ابن الحنفية بعد على أو بعد الحسن والحسين ٠

ـ والصنف الثانى **الهاشمية** : اتباع أبى هاشم بن محمد بن الحنفية ، يعتقدون بانتقال الامامة من ابن الحنفية الى ابنه أبى هاشم وافضائه أسرارا العلوم لابنه،بل واجتماع الحكم والأسرار فى الشخص الانسانى٠ومن أقوالهم أن لكل ظاهر باطن ، ولكل شخص روح ، ولكل تنزيل تأويل ، ولكل مثال حقيقة (٥) ٠

ـ الصنف الثالث : **البيانية** : اتباع بيان بن سمعان ، وهو من الغلاه القائلين بالهيه على أو بحلول جزء الهى فى على اتحد به٠ادعى استحقاق على الامامة والخلافة لانتقال الجزء الالهى اليه بنوع من التناسخ ، وزعم أن معبوده على صورة انسان (٦) ٠

ـ الصنف الرابع : الزرامية : أتباع رزام بن رزم٠ادعت هذه الفرقة

---

(٣) أصناف الكيانية كما يقول الخوارزمى فى «مفاتيح العلوم» أربعة هى : المختارية ـ الاسحاقية ـ الكرمية ـ والحربية ، انظر ص ٢١ ٠

(٤) البداء فى مذهب المختار له ثلاث معانى :

١ ـ البداء فى العلم وهو أن يظهر له خلاف ما علم ٠

٢ ـ البداء فى الارادة وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ٠

٣ ـ البداء فى الأمر وهو أن يأمر بشىء ثم يأمر بشىء آخر بعده بخلاف ذلك ٠ انظر الملل والنحل ص ٢٨٥ ٠

(٥) الملل والنحل ص ٢٩٠ ٠

(٦) الملل والنحل ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، المقدمة ص ١٧٧ ٠

حلول روح الاله فى أبى مسلم ، قالوا بتناسخ الأرواح ، وساقوا الامامة بالوصية ٠

٢ ـ الزيدية : أتباع زيد بن على بن أبى طالب ، سموا كذلك لتمسكهم بقول زيد بن على بأفضلية على بن أبى طالب على سائر أصحاب رسول الله (ص) ويتولى أبا بكر وعمر ، ويرى الخروج على أئمة الجور(٧) ٠سموا أيضا بالرافضة من قبل الامامية ، وذلك لقول زيد بامامة الشيخين : أبى بكر وعمر وعدم تبروئه منهما ، لذا رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة(٨) ٠تتلمذ زيد لواصل بن عطاء رأس المعتزلة ورئيسهم ٠والزيدية معتزلهم كلهم تأثروا بعمق باتصالهم المباشر بالمعتزلة ، وهم يعتقدون أن الله أزلى الصفات ، وأن القرآن والغالبية العظمى منهم لا تقبل القضاء والقدر (٩) ٠ساقوا الامامة فى أولاد فاطمة ، وان رأى زيد جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل ، وجواز رجوع الامام المفضول الى الافضل فى القضايا والأحكام (١٠) ٠

والامامة فى نظر الزيدية ليست امامة بالنص ولكن بالاختيار مع الشيوخ، اذ لم ينزل وحى يعين الأئمة ، فالامامة تجوز لكل فاطمى ورع تقى سخى، لديه القدرة على الاجتهاد ٠

طعن أكثر الزيدية فى الصحابه كالامامية ، وان كانت الامامة عندهم ايجابية ، بينما هى عند الامامية سلبية ، اذ أنها تنتهى باختفاء الامام(١١) ٠

---

(٧) الأشعرى : مقالات ص ٦٥ ، ولمعرفة المزيد عن متكلمى الشيعة الامامية والزيدية راجع الفهرست ص ٢٦٣ ـ ٢٦٨ ٠

(٨) المقدمة ص ١٧٧ ٠

(٩) Willams (J.A.) ; Ibid, p. 220.

(١٠) الملل والنحل ص ٣٠٢ ـ ٣٠٤ ٠

(١١) فجر الاسلام ص ٢٧٢ ٠

خالفوا الموسوية (١٢) فى الأصول ، ولا يأخذون بالتقية ، ويدعون الى الجهاد والخروج فى سبيل الله للمطالبة بالخلافة ، وهذا ما فعله زيد بن على ومن بعده ابنه يحيى ثم فوض الأمر بعد قتل يحيى الى محمد وابراهيم الامامين٠

ومن فرق (١٣) الزيدية : الجارودية ، السليمانية ، والصالحة والبترية٠ وقد وجدت الزيدية طريقها فى بعض مدن طبرستان واليمن وبلاد المغرب ولا تزل فى اليمن الى الآن ، وهى بالجملة من أكثر فرق الشيعة اعتدالا ٠

٣ ـ الغالية : من فرق الشيعة المتطرفين والذين غلوا فى حق أئمتهم حتى اخرجوهم من الحدود البشرية وحكموا فيهم بأحكام الهيه فربما شبهوا أحد أئمتهم بالاله ، وربما شبهوا الاله بالمخلق مثلما فعل السبأية (١٤) منهم اذ زعموا تقديس الائمة الى حد القول بنبوة على أو تأليهه ، وغالوا فى الطعن على مخالفيهم الى حد رميهم بالكفر (١٥) ، وخير دليل على ذلك قول عبد الله بن سبأ لعلى : «أنت الاله حقا ، فنفاه على الى المدائن٠وقال ابن سبأ : لم يمت على ، ولم يقتل ابن ملجم الا شيطانا تصور فى صورة على، وعلى فى السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وأنه ينزل بعد هذا

---

(١٢) هى احدى فرق الامامية من ورافضة ، يقولون موسى بن جعفر الصادق وينتظرونه وزعموا أن موسى حى لم يمت ، وأنه هو المهدى المنتظر٠ انظر الفرق بين الفرق ص ٦٣ ٠

(١٣) فرق الزيدية كما ذكره الأشعرى هى : الجارودية ، السلمانية ، البترية ، النعيمية ، اليعقوبية وفرقة تتبرء من أبى بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة انظر مقالات الاسلاميين ص ٦٦ ـ ٦٩ ، مفاتيح العلوم ص ٢١ ٠

(١٤) هم أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على رضى الله عنه ، وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم انه اله ، التبصير ص ٧١ ، مقالات الاسلاميين جـ١ ص ٨٥ ٠

(١٥) فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٦١ ٠

الى الأرض ويملؤها عدلا ، وهؤلاء يقولون عند سماع الرعد : وعليك السلام يا أمير المؤمنين» (١٦) ٠

وغلو هذه الفرقة المتطرفة ، يمتد كما هو واضح فى النص ، الى حد الاعتقاد بأن من قتله ابن ملجم لم يكن عليا ، وانما كان شيطانا تصور للناس على صورة على ، وأن عليا صعد الى السماء كما صعد اليها عيسى بن مريم ، وهم فى هذه الدعوى يلتقون مع اليهود والنصارى الذين رأوا شخصا مصلوبا شبهوه بالمسيح ، بل ويصر ابن سبأ على دعواه وعدم الاعتراف بمقتل على قائلا للقائلين بأنه قتل «ان جئتمونا بدماغه فى صره لم نصدق بموته،لا يموت حتى ينزل من السماء،ويملك الأرض بحذافيرها(١٧)٠

والفرق الغالية من الشيعة ، كما يقول ابن حزم (١٨) ، قسمان : قسم أوجبت النبوة بعد النبى (ص) لغيره والقسم الثانى أوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصارى واليهود وكفروا أشنع الكفر ٠ فالطائفة التى أوجبت النبوة بعد النبى (ص) فرقة منهم الغرابية قالت أن محمدا كان أشبه بعلى من الغراب بالغراب ، وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحى الى على فغلط جبريل فى ذلك لانه غلط ، وقالت طائفة منهم : بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه ٠

وعلى رضى الله عنه ، كما تزعم الغالية من الشيعة ، هو المهدى المنتظر وهو فى رأى عبد الله بن سوداء (١٩) وصى محمد (ص) وأنه خير الأوصياء،

---

(١٦) ابن أبى الحديد ، شرح نهج البلاغة جـ٢ ص ٣٠٩ ، اعتقاد فوق المسلمين ص ٥٧ ، الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ ، ٢٣٣ – ٢٣٦ ، التنبيه ص ٢٥ ، ١٤٨،شرح عقيدة السفارينى جـ١ ص ٨٠ الملل والنحل جـ١ ص١٧٤٠

(١٧) الفرق بين الفرق ص ٢٣٤ ٠

(١٨) انظر الفصل فى الأهواء والنحل جـ ٥ ٠

(١٩) كان فى الأصل يهوديا من أهل الحيرة وأظهر أسلامه ، وأراد أن

كما أن محمدا خير الأنبياء ، ومن تأويلاته فى على رضى الله عنه والتى اراد بها ـ كما قال المحققون من أهل السنة ـ أن يفسد على المسلمين دينهم، قوله بعد مقتل على «والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفه عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ، ويغترف منهما شيعته» (٢٠) وقد رفض الامام على هذا الغلو ، ونفاه وابن سبأ الى المدائن وحرق بالنار من رفعوه الى مرتبة الاله خاصة وان منهم من يجعل صلاة الشفع والوتر رمزا للامام على(٢١)٠

هذه الآراء وغيرها كثير لجأ اليها الغلاة (٢٢) من الشيعة والذين تنحصر بدعهم فى أربعة : التشبية والرجعة والبداء والتناسخ وهى بدع تخرج القائلين بها عن الاسلام ٠

٤ ـ **الامامية** : سموا كذلك لأن أهم عقائدهم تدور حول الامام والامامه سمى بعضهم بالمتاولة لأنهم شكوا فى صحة القرآن وطعنوا فيه٠الأمامه فى رأيهم لعلى بن أبى طالب بعد النبى بالنص الظاهر أو التعيين الصادق من غير تعريض بالوصف بل اشارة اليه بالمعين ٠

ساقوا الامامة من على بن أبى طالب الى ابنه الحسن بالوصية ثم الى اخيه الحسين ثم الى ابنه على زين العابدين ، ثم الى ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ٠

=

يكون له عند أهل الكوفة مكانة ورياسة فانتسب الى الرافضة السبئية لأنهم كانوا أعرق أهل الأهواء فى الكفر ، وأعانهم على قولهم بعدم قتل على ٠

(٢٠) الفرق بين الفرق ص ٢٣٥ ٠

(٢١) د٠ عبد اللطيف محمد العبد : الانسان فى فكر اخوان الصفا ، ص ١٨ مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦ ٠

(٢٢) الغلاه من الشيعة عشرون فرقة نذكر منهم : البيانية ، الحربية ، المغيرية ، السبئية ، المنصورية ، الجناحية ، الخطابية ، العزابية ، والمفوضية، الخابطية ، الحمارية ، المقنعة ، وأصحاب التناسخ ٠

والامامية ذوى اتجاه عقلى معتزلى ، يعتقدون أن القرآن مخلوق ٠وحيث أن الله خير فلا يمكن أن يفعل الشر ، وأنه تعالى قد خلق الانسان حرا لكى يعرفه ، ويعرف رغباته الخيرة (٢٣) ٠

ومن الأسس الهامة التى تقوم عليها عقائدهم ، وخاصة عقائد الشيعة الامامية الاثنى عشرية .(Ithna - ashariya ;the twelvers) ـ لأنهم من جهة الكم هم أكبر الفرق الشيعية ، وتظهر أغلب المذاهب التى أصبحت أصيلة عند الشيعة (٢٤) ـ قولهم بعصمة أئمتهم ، فعلمهم تشريع ، وكل تصرفاتهم جائزة ، وهم وحدهم يعلمون الغيب ، اذ ليس من حق النبى أن يخبر عن الغيب ، ولهذا فان بعضهم ينسب الألوهية لهؤلاء الأئمة ، فهم وسطاء بين الله والخلق ، اذ لا تتم الصلة بالله الا عن طريق الوسائط أى الأئمة ، ولهذا نراهم يلقبون أنفسهم بألقاب مثل : باب الله ، وحجة الله ، وآية الله (٢٥)٠

والولاء فى رأى الامامية الاثنى عشرية ركنا من أركان الايمان ومعناه التصديق بالأئمة الاثنى عشر٠وهم وان آمنوا بالله ووحدانيته ، فانهم يدعون عبادا غير الله ، وينذرون ويذبحون لغير الله ، ويطلبون من الأموات قضاء الحوائج ، ولا يؤمنون برؤية الله (٢٦) فى الدنيا ولا فى الآخرة ٠

ومن مبادئهم أيضا القول بالشريعة (٢٧) والحقيقة ، فالشريعة هى الأحـكام التى جاء بها النبى محمد (ص) وهى التى تهم العامة٠اما الحقيقة

---

(٢٣) Williams (J. A.) : Islam, p. 224.

(٢٤) Ibid., p. 224.

(٢٥) محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة للأسس الدينية عند الاثنى عشرية ص ٤٨ ـ ٥٥ ، الكشاف الفريد جـ١ ص ١١٠ ـ ١١٣٠

(٢٦) رؤية الله فى رأى أهل السنة فى الآخرة فقط لقوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ ٠

(٢٧) الشريعة هى الحقيقة فى رأى أهل السنة والجماعة ، وماذهبت اليه الامامية الاثنى عشرية يخالف تعاليم الدين الاسلامى ٠

فهى العلم الخاص عن الله ، وهذا العلم لا يعلمه الا أئمة أهل البيت الذين يتلقون علوم الحقيقة بالوراثة جيلا بعد جيل وتبقى عندهم سرا ٠

قالوا بالتقية ويرونها فريضة لا يقوم المذهب الا بها ، كما قالوا بالرجعة (٢٨) وان اختلفت طوائفهم فيمن هو الامام المنتظر ، فمن الامامية من ينتظر جعفر الصادق ، ومنهم من ينتظر محمد بن الحنفية ويزعم أنه حى لم يمت وأنه بجبل رضوان الى أن يأذن الله له بالخروج ، ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب (٢٩) ٠

ومن فرق الامامية (٣٠) : الاسماعيلية وهى ما سنخصص لها الحديث الآن باعتبارها من أبرز فرق الشيعة ٠

٥ - الاسماعيلية : الاسماعيلية هى احدى فرق الامامية ٠ سميت كذلك نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق الابن الأكبر لجعفر الصادق الامام السادس ، ظهر دعاتها أولا فى فارس ولهم مقالات قديمة وأخرى جديدة ٠ دعا اليها فارسى من خراسان هو الحسن بن على المعروف بالصباح وأنشأ للاسماعيلية عدة فروع متفرقة فى الشام وفارس والعراق ، بث فيها تعاليمه ودعى بامامة اسماعيل وبنيه من آل البيت (٣١) ٠

اتفق الاسماعيلية على القول بالنص على امامه اسماعيل باتفاق من أولاد جعفر ، واختلفوا فى وفاته فى حياة أبيه «فمنهم من قال ان أباه أظهر

---

(٢٨) فكرة مؤداها أن آخر أئمتهم سيقوم فى آخر الزمان ويخرج من السرداب ويذبح جميع خصومه السياسيين ويعيد للشيعة حقوقهم المغتصبة ٠

(٢٩) فجر الاسلام ص ٢٧٣ ٠

(٣٠) من فرق الامامية أيضا : الباقرية ، الجعفرية الواقفة ، الاثنا عشرية ، الأفطحية ، الشميطية ، الناووسية ، الاسماعيلية الواقفة ، الموسوية والمفضلية (انظر الملل والنحل ص ٢٣٢) ٠

(٣١) الكشاف الفريد جـ١ ص ١٤٩ ، على بن فضل الله الجيلانى : توفيق التطبيق ، تحقيق محمد مصطفى حلمى ص ١٩٨ - ١٩٩ ،ط١، ١٩٥٤ ٠

موته تقيه·ومنهم من قال مات والنص يبقى الامامة فى أولاده فقط ، فالامام بعد اسماعيل محمد ابنه (٣٢) وهؤلاء يقال لهم «المباركية» ، منهم من وقف على محمد وقال برجعته ، ومنهم من ساق الامامة فى المستورين ، ثم فى الظاهرين القائمين من بعدهم وهم الباطنية (٣٣) ، أشهر فرق الاسماعيلية ·

الامامة فى رأى الاسماعيلية بالنص والتعيين وهى واجبة على الله ، بل وهى لطف منه تعالى·يؤمنون بضرورة معرفة الامام وبيعته ، وأن الأرض لن تخلو من امام اما ظاهر مكشوف أو باطن مستور·فاذا كان الامام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورا·واذا كان الامام مستورا يجب أن يكون حجته ودعاته ظاهرين·وهم بالجملة يؤمنون بعصمة الامام وغيبته ورجعته (٣٤) ، وانه الهى الذات ، وهو الانسان الكامل ، واذا اتحدت صفاته العليا كان هو الله فى الحقيقة (٣٥) ·

والباطنية من أهم أسماء (٣٦) الاسماعيلية ، يرون أن لكل ظاهر

---

(٣٢) Macdonald : Muslim the ology, p. 42.

(٣٣) الملل والنحل ص ٣٤١ ·

(٣٤) الملل والنحل جـ١ ص ١٩٢ ، علم الكلام وبعض مشكلاتهص ٩٠ ـ ٩١ ، دائرة المعارف الاسلامية مادة اسماعيلية ، جولد تسهير : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، الترجمة العربية للأستاذ محمد يوسف موسى ، عبد العزيز عبد الحق ، وعلى حسن عبد القادر ص ٢١٥ القاهرة ١٩٤٦ ·

(٣٥) مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ١٣ ، ١٤،سوريا ١٩٥٣ ·

(٣٦) من أسماء الاسماعيلية أيضا : التعليمية ، وسموا كذلك لانهم يدعون الى التعليم والأخذ عن الامام المعصوم (الغزالى : فضائح الباطنية ص ١٧ القاهرة ١٩٦٤) ، وسميت الاسماعيلية بالسبعية لعنايتهم بالأعداد واسرارها وبخاصة العدد سبعة (انظر النعمان بن محمد : أساس التأويل ، ص ٤٦ ، ٦٠ بيروت ١٩٦٠) ·

باطن ، ولكل تنزيل تأويل (٣٧) وأن القرآن يجب أن يفهم على طريقة التأويل والمجاز ، لأنه ليس هناك معنى للتمسك بحرفيته ، وأن الشعائر الدينية ليست الا للعامة ، وسواسهم هم الأنبياء ، أما الخاصة فلا يلزمهم العمل بالشعائر الدينية وأنبياؤهم هم الفلاسفة (٣٨) ٠

والتأويل عند الاسماعيلية لا يستند الى عقل أو دين ، فكل شىء فى رأيهم يؤول على أساس الامامة وقدسية الأئمة وعصمتهم ، فمن تأويلاتهم(٣٩) تأويل السفينة فى القرآن بالدعوة ، والشهداء بالأئمة والجدار بموسى عليه السلام ٠

والعلم المجازى عند الاسماعيلية هو العلم الذى يصدر عن شخص آخر غير الأئمة ٠

والوحى فى رأيهم هو تعليم ينتقل من نفس الى نفس دون ملك خفى وهو بالتالى مستمر ، لانه فيض من العقل الأول (٤٠) ٠

دين الباطنية (٤١) ، كما يقول البغدادى (٤٢) ، انهم دهرية زنادقةيقولون بقدم العالم ، وينكرون الرسل والشرائع كلها عليها الى استباحة كل مايميل اليه الطبع وضررها على فرق المسلمين اعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم ، بل أعظم من مضره الدهرية وسائر أصناف الكفره عليهم ،

---

(٣٧) الغزالى : فضائح الباطنية ص ١١ ٠

(٣٨) فجر الاسلام ص ٢٧٣ ٠

(٣٩) يراجع فى ذلك كتاب «تأويل الدعائم» للنعمان بن حيون ٠

(٤٠) ماسينيون : سلمان الفارسى ص ٣٣ ، ترجمة د٠ عبد الرحمن بدوى مصر ١٩٤٦ ، الانسان فى فكر اخوان الصفا ص ٢١ ٠

(٤١) ظهرت دعوة الباطنية أولا فى زمان المأمون ، وانتشرت فى زمان المعتصم أما الذين وضعوا أساس دين الباطنية فهم من أبناء المجوس٠الفرق بين الفرق ص ٢٨٤ ٠

(٤٢) الفرق بين الفرق ص ٢٨٢ ، ٢٩٤ ٠

بل أعظم من ضرر الدجال الذى يظهر فى آخر الزمان ، لأن الذين ضلوا عن الدين يضلون بالدجال فى وقت ظهوره ، الأن فتنة الدجال لاتزيد مدتها على اربعين يوما ، وفضائح الباطنية (٤٣) أكثر من عدد الرمل والقطر· وهى تظهر جلية فى مذهبهم وخلاصته أن الله تعالى لا موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ، وكذلك فى جميع الصفات ، وان الاثبات الحقيقى يقتضى المشاركة بين الله وبين الموجودات وهو تشبيه ، والنفى المطلق يقتضى مشاركته للمعدومات وهو تعطيل·والله عندهم واهب هذه الصفات ورب للمتضادات (٤٤) ·

ومعرفته تعالى تقتضى استعمال العقل والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصـــادق الذى تجب الدعوة فى كل زمان الى تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه·

أخذ الاسماعيلية ـ والشيعة بصفة عامة ـ بمبدأ التقية (٤٥) ، وهى عندهم جزء مكمل لتعاليمهم وركنا من دينهم·وقالوا بالوراثة الروحية·فالمدعو يصبح ابنا روحيا للداعى · والدعاه (٤٦) مراتب على رأسهم النبى محمد

---

(٤٣) هو عنوان كتاب للغزالى كشف فيه جرائمهم فى حق الاســلام ووسائلهم فى التحلل من تعــاليمه ، فمذهبهم كما يقــول الغــزالى ، ظــاهرة الرفض وباطنه الكفر المحض · أما أحوالهم ومايذهبون اليه فقد عنى الباقلانى بتوضيحها فى كتابه «كشف أسرارا الباطنية» لمعــرفة المزيد عن هــذه الفرقة يمكن الرجوع الى : ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١ ص ٤٠٩ ، خططالمقريزى جـ٢ ص ٣٥٧ ، ابن النديم : الفهرست ص ٢٧٨ ، وتاريخ ابن الأثير فى حوادث عام ٢٧٨ ، وعام ٢٨٦ ، وعام ٢٨٩ وعام ٣٠١ ، وعام ٣١١ ·

(٤٤) الجرجانى : التعريفات ص ٢١ ·

(٤٥) التقية عند الشيعة هى النظام السرى فى شئونهم ، وهى مداراه وتظاهر بما ليس هو الحقيقة وقد رفض الخوارج هذا المبدأ ـ على عكس الشيعة ـ فالخارجى لا يدارى ولا يمارى ، ويعلن حربه على الامام ولو كان منفردا · ضحى الاسلام جـ٣ ص ٢٤٦ ·

(٤٦) رتب الاسماعيلية الدعــاه فى أثنتا عشرة درجــة تبدأ من الامام وتنتهى بالمستجيب ·

وهو الناطق يليه الأساس أو الوصى وهو سيدنا على الذى يؤول الكلام المنزل، وبعدهما الحجة الذى يثبت صدق رسالة الأساس وبعده الداعى ، وليس هناك داع واحد بل دعاه كثيرون موزعون فى أرجاء المعمورة (٤٧)·وقد بلغ عدد الدعاه الاثنتى عشرة ـ فى الجزائر ـ ثمانية آلاف وستمائه وأربعين داعيا ، ويسمون أكابر الدعاه (٤٨) ·

أما مبادئهم التى تقوم عليها فلسفتهم الالهيه فعمادها القول بأن الاله هو الأول والنفس هو الثانى ، وهما مدبرا هذا العالم ، وسموها الأول والثانى ، وربما سموهما العقل والنفس·والذات الالهيه ليس لها صفات ، وانما تنصب الصفات على العقل الأول الذى ابدعه الله·وبامكاننا أن نعرف العقل المبتدع لا البارى المبدع ، فالعقل الانسانى لا يستطيع أن يدرك حقيقة الذات الالهية (٤٩)·وعن العقل صدرت النفس وعن هذه النفس صدرت المادة· أما حركة الأفلاك والطبائع فتصدر عن اتحاد العقل والنفس والزمان والمكان والمادة ·

ومبادئهم كما نرى ، لا يخفى علينا ما فيها من افكار فلسفية مستمدة من الأفلاطونية المحدثة ـ وبخاصة من نظرية الفيض الأفلوطينية والتى امتد تأثيرها ايضا الى فيلسوفى المشرق : الفارابى وابن سينا ، وما فيها من أقوال المجوس الخاصة باضافة الحوادث لصانعين أحدهما قديم والآخر محدث ،

---

(٤٧) الغزالى : فضائح الباطنية ص ٢٢ ، ٢٣ ، فى الفلسفة الاسلامية جـ٢ ص ٦٤ ·

(٤٨) النعمان بن حيون : تأويل الدعائم جـ٢ ص ١٠١ ، دار المعارف مصر ١٩٦٩ ·

(٤٩) الفرق بين الفرق ص ٢٨٥ ، الكرمانى : راحة العقل ص ٥٢ ، القاهرة ١٩٥٢ ·

وهو ما عبر المجـوس عنهما بيزدان وأهـرمن ، وكذلك ما فيها من الأفـكار الغنوصية الهلينية الشرقية القديمة التى لاتزال مزدهرة فى أجزاء معزولة من الامبراطورية الاسلامية (٥٠) ٠ وهذه المبادىء فى جملتها تعكس أطلاعهم على الثقافات الأجنبية ، غير أن الطابع العام الذى اتسمت به الاسماعيلية هو السرية التامة فى كل مايتعلق بمذهبهم حتى على اتباعها أنفسهم مما جعل هذا المذهب يكتنفه الكثير من الغموض ٠

(٥٠) Williams (J.A.) Islam, p. 231.

رابعا : تحليل ونقد :

اذا كان موضوع الامامة او الخلافة هو مدار بحث الفرق الاسلامية على اختلافها ، وموضع اهتمامها ، فهو عند الشيعة أساس مذهبهم وجوهر عقيدتهم ، فالامامة عندهم ليست من المصالح العامة بل هى ركن الدين ، وهى بالنص والتعيين لعلى (رضى الله عنه) وذريته من بعد النبى (ص) ٠ الامام فى رأيهم يجب أن يكون معصوما من الكبائر والصغائر٠ والشيعة وان اتفقوا على هذه الأصول ، فقد اختلفوا فيما بينهم فى بعض المسائل المتعلقة بالامامة لعل اهمها : مساقها فى ذرية على ، وجواز امامه المفضول مع وجود الأفضل ، تعلقهم ببعض الأئمة ٠

مهما يكن من أمر هذه الخلافات ، فتمسكهم بعلى وولائهم له جد عظيم ، والدليل على ذلك تمسكهم به وولائهم له حتى بعد التحكيم الذى كان سببا فى خروج الخوارج عليه وتأليبهم للناس ضده ، وانكارهم لخلافته بعد قبوله اياه ، بينما ظل الشيعة على رأيهم فى أنه لا أحد أحق بالخلافة من على رضى الله عنه ٠

ومن دراستنا لجملة آراء الشيعة الكلامية منها والفلسفية اتضح لنا ما يلى : -

١ - اتفاق فرقها - التى أشرنا اليها آنفا - فى القول بضرورة نصب الامام وتعينه ومعرفته وبيعته ، والقول بأن لكل تنزيل تأويل ، ولكل ظاهر باطن ٠

٢ - تميزت الشيعة الامامية والاسماعيلية بالقول بعصمة الامام وغيبته ورجعته ٠

٣ - اذا كان من فرق الشيعة من سميت بالغالية لغلوها فى حق

ائمتهم فيما ينسبونه اليهم من صفات ، ويحكمون فيهم بأحكام الهية ، فقد شاركهم فى غلوهم وميلهم الى تقديس الأئمة فرق أخرى كالبيانية والرزامية من الكيسانية، اذ لم يكتفوا بالقول بالهية على رضى الله عنه ، بل ذهبوا الى ما هو أبعد ، وقالوا بتناسخ الأرواح على مقولة الفيثاغوريين ٠

وذهب الامامية الى القول بأن الأئمة وسطاء بين الله والخلق ، وهذه الفكرة ، كما نرى ، دخيلة على الاسلام وليس لها سند من الشريعة وانما يمكن ردها الى المذاهب الفلسفية الغنوصية التى رأت أن الطريق الوحيد لخلاص النفس اذا أرادت النجاة فى الدنيا والآخرة هو التطهر بالغنوص خاصة وأن الهوة عظيمة بين الناسوت واللاهوت أو بين الخلق والاله ، لذا حاولت أن تقرب بينهما فقالت بفكرة الوسطاء - تقابل الأئمة عند الشيعة - وأسمتهم أيونات أو أراكنة ، وهم واسطة بين الله فى عليائه والمادة فى عالمنا المحسوس ٠

٤ - اتفاق بعض آراء الشيعة الكلامية مع بعض آراء المعتزلة وخاصة فى المسائل الآتية : نفى رؤية الله ، نفى قدم الصفات ، اثبات الحسن والقبح العقليين ، القول بالعدل والتوحد ، وقاعدة اللطف ٠

٥ - وقفت الشيعة موقفا وسطا بين المعتزلة والأشاعرة فيما يتعلق بأفعال الانسان٠فاذا كان فى رأى المعتزلة أن الانسان هو المسئول عن أفعاله، وهو الذى يقرر مصيره دون أن يكون لله تعالى أى تأثير فيها ، وعلى العكس ذهب الأشاعرة الى القول بأن الانسان لا يملك من أمره شيئا ، قال الشيعة ان أفعال الانسان لا جبر ولا تفويض وانما وسط بين الأمرين أى بين الجبر والاختيار ٠

٦ - اهتمام الشيعة بالفلسفة كبير ، ولم تقف عناية مفكريهم بها عند حد الاشتغال بها وحسب ، وانما تعداه الى تأليف الكتب والرسائل ونظم

الأراجيز التعليمية التى توضح أسس الفلسفة ونظرياتها ، ومن ذلك : «رسالة اتحاد الوجود والماهية» للعلامة هادى بن محمد أمين الطهرانى النجفى ، و «رسالة فى اتحاد العاقل والمعقول» و «رسالة فى أتصاف الماهية بالوجود» وهما لصدر المتألهين • ومنظومة الأصفهانى المسماه بتحفة الحكيم ، على نحو ما ذكر صاحب كتاب الذريعة (جـ١ ص ٨١ ـ ٨٢ ، جـ٣ ص ٤٣١)•

٧ ـ تأثر الشيعة بالثقافات الأجنبية ، وهذا واضح فى آراء بعض فرقها وخاصة الاسماعيلية ورأيها فى الامامة وتفسير الوجود والذى جعلت فيه العالم الأرضى يقابل العالم العلوى ، والنبى أو الناطق يقابل النفس الكلى •

وقول الاسماعيلية بترتيب الفيوضات بدءا من الله الى العقل الأول الى النفس الثانى ، فالأفلاك السماوية ثم الطبائع البسيطة ، ومنها كانت المركبات قولهم بهذا الترتيب يذكرنا بنظرية الفيض الأفلوطينية ، ونظرية العقول العشرة عند فلاسفة الاسلام ، وفكرة النور المحمدى الأزلى عند الصوفية •

وبالجملة مبادىء الاسماعيلية مزيج من الأراء الفارسية والغنوصية والأفلوطينية وعقيدتهم تخالف عقيدة الاسلام •

الخاتمة

والآن بعد أن انتهينا من دراستنا لمذاهب كل من المعتزلة والأشاعرة والخوارج والشيعة كنماذج من الفرق الاسلامية تناولناها بالتحليل والنقد نستطيع أن نقول :

أن هذه الدراسة وان استهدفت فى المقام الأول ابراز مذاهب بعض الفرق الكلامية وأهم آرائهم فى الله والعالم والانسان وبعض مشكلاته وأخصها مشكلة الامامه ، فانها يمكن ان تكون معينا للباحث فى علم الكلام على معرفة المعتدل منها والمتطرف ، وجوانب الاتفاق والاختلاف بينها خاصة وأننا حاولنا – بقدر الامكان – أن نحدد أهم الخصائص المميزة لكل فرقة والأسس التى يقوم عليها مذهبها ٠

وقد تبينا من دراستنا أن بعض هذه الفرق الاسلامية وخاصة المعتزلة قدمت لنا فكرا يعبر عن المزج بين المصادر الاسلامية والمصادر الخارجية اليونانية ٠أقول ذلك لأن المعتزلة وان اعتمدوا على آيات القرآن الكريم واجتهدوا فى تأويلها ، فانهم قد استفادوا أيضا من المصادر الأجنبية وخاصة المصدر اليونانى – الذى ظهر عند المعتزلة المتأخرين(١)فى أصولهم الخمسة – بفضل حركة الترجمة العربية لكتب الفلاسفة اليونانيين ، فالمعتزلة مع توحيدهم المطلق لله وتنزيههم الكامل له تعالى ، وهو ما أكدوه بنفيهم للصفات ، ومعارضتهم بشدة أى تشبيه بين الله والمخلوقات مستندين فى ذلك لقوله تعالى «ليس كمثله شىء» (٢) – يظهر تأثرهم بآراء أفلاطون وأرسطو فى العديد من المواقف منها على سبيل المثال لا الحصر :

– قول المعتزلة بعدم وجود أى تشابه بين الله وبين الموجودات ، وأنه

---

(١) منهم الاسكافى ، والخياط ، والفوطى ، وأبو القاسم البلخى الكعبى٠
(٢) سورة الشورى ، آية ١١ ٠

لا يمنح سوى الوجود للخلق ، وقد قدم لنا أفلاطون هذه الفكرة عن الاله حين قال ان العالم لا يكون على صورة الاله وانما على صورة المثل الأزلية الموجودة فى العالم المعقول (٣) .

- المعرفة الحقيقية عند المعتزلة هى معرفة الكليات وموضوعها هو المعدوم وهو خارج الزمان (٤) ، وهذه الفكرة لا تبعد كثيرا عن قول أفلاطون بالمثل باعتبارها رمزا للحقيقة المطلقة ، وهى الموجود الحقيقى لموجودات العالم المحسوس .

- والمعدوم عند المعتزلة هو العالم ، ومادته هو العدم ، أما صورته فهى الوجود. والوجود من الله أى أن الله هو الذى أوجد العالم وهو الذى يفنيه أى يعدمه .

- والمعدوم فى رأى المعتزلة شىء شرطه الامكان ، وهذا يعنى أن المعدوم شىء موجود فى الخارج يجب أن تكون لديه القابلية والامكانية لأن يقبل الوجود ، والا فلن يتحقق وجوده. وهذه الفكرة يمكن ردها الى رأى أرسطو فى المادة والصورة - مع مراعاة الفرق بينهما فى العقيدة - فلكل موجود مادة وصورة ، المادة هى وجود الشىء بالقوة ، والصورة هى وجوده بالفعل، ولا يتحقق وجود الشىء بالفعل الا باتحادهما معا أى المادة والصورة خاصة وان الصورة عند أرسطو ازلية أبدية ، وهى مبدأ التحديد والمعقولية، وهى محركة وفاعلة ، وهى ايضا كمال وغاية ولا يمكن تصور فناؤها .

أضف الى ماتقدم ، أن حرص المعتزلة على تنزيه الله،ونفى أى مشابهه بينه وبين المخلوقات كان وراء فكرتهم عن وظيفته تعالى فى خلق العالم .

---

(٣) المنيه والأمل ، ص ١١١ .
(٤) المنيه والأمل ، ص ١٣٩ .

فالله فى رأيهم يمنح المعدوم (العالم) الوجود وحسب دون الماهية (٥) وحجتهم فى ذلك أنه تعالى لو منح المعدوم الماهية ، لأصبحت ماهيته تعالى مشابهة لماهية المخلوقات ، وهذا فى نظرهم محال ٠

وقولنا بتأثر المعتزلة ببعض آراء أفلاطون وأرسطو لا يعنى الطعن فيهم أو فى عقيدتهم ، فمنطلقهم فى البحث فى المسائل التى عالجوها - وخاصة تلك التى تتعلق بالله والعالم والانسان - هو الدفاع عن الاسلام ضد الفرق الأخرى كالمجوسية والمانوية والمزدكية وغيرها من الفرق المخالفة ، وقد تسلحت فى دفاعها عن القيدة بالحجج العقلية والفكر الواعى المستنير بثقافات الأمم السابقة ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لما تسمى المعتزلة بأهل التوحيد وأهل العدل وأهل التنزيه ، والمنازلية والقددية والمنزهة٠فهدفهم الأسمى هو التوحيد الكامل والتنزيه المطلق لله ، وهذا ما يحسب لهم ، أما ما يحسب عليهم فهو قولهم بنفى الصفات وخلق القرآن ، وانكارهم امكان رؤية الله تعالى بالأبصار ، وجعل الانسان مسئولا مسئولية كاملة عن أفعاله ، وهم بذلك قد خالفوا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة(٦) الذين أقروا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، واثبتوا لله الصفات ، واتفقوا على أن كلام الله غير مخلوق ، وأن أعمال الانسان مخلوقة لله مقدرة ، وأن الانسان لا يقدر أن يخلق شيئا لقوله تعالى «لا يخلقون شيئا وهم يخلقون» ، وأنه عز وجل مرئى للمؤمنين يوم القيامة٠

---

(٥) المصدر السابق ، ص ١٣٧ ٠

(٦) أثبت أهل السنة الصفات٠والقرآن فى رأيهم كلام الله الأزلى ، الله سبحانه وتعالى قديم ، وتجوز رؤيته بالابصار يوم القيامة لقوله تعالى فى سورة القيامة (آية ٢٢) «وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة» وقوله تعالى فى سورة الأحزاب (آية ٤٤) «تحيتهم يوم يلقونه سلام»،وكذلك مارواه أبى هريرة وجرير وصهيب عن رسول الله (ص) من أحاديث تفيد رؤية أهل الجنة لله يوم القيامة كرؤيتهم للقمر ليلة البدر ٠

أما الكافرون فمحجوبون عن رؤيته تعالى لقوله عز وجل «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» ، وأنه سبحانه وتعالى علام «الغيوب» «فعال لما يريد» يعلم ماكان ومايكون وهو سبحانه بكل شيء عليم ، لايوصف فيما يفعل ، ولا يحكم بجور ولا ظلم ، وأن الأفضلية في ترتيب الامامة بعد رسول الله (ص) لأبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على .

وقد أوضحت هذه الدراسة أيضا أن مشكلة الامامة وان كانت فى أساسها مشكلة دينية فقد اصطبغت بصبغة سياسية على يد بعض الفرق وخاصة الخوارج والشيعة وان اختلفت نظرة كل منهما اليها ، فبينما يرى الخوارج أن الامامة تكون باختيار ، ولا يشترط فيها شرط القرشية يذهب الشيعة الى أنها بالنص والتعيين والى انحصارها فى آل بيت النبوة

وقد تبينا من دراستنا لفرقة الخوارج أن تطرف أفكارهم وحكمهم بالكفر وجواز القتل لمخالفيهم ، والخروج على الامام الجائر ، قد جعلهم خارجين عن اجماع الأمة.فما أجمعت عليه الأمة لأهل الكبائر انهم فاسقون (٧) لقوله تعالى «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلده ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون»(٨) .

وقد تأكد غلو الخوارج وتطرفهم فى أحكامهم على أهل الكبائر فى عدم اكتفائهم بالقول بأنهم فسقه بل زادوا فحكموا عليهم بالكفر والخلود

وأغلب الظن أن مرجع ذلك هو فهمهم المبتسر لأحكام الشرع ، ووقوفهم فى النار .

---

(٧) هذا أيضا ماذهب اليه المعتزلة فى تفسيرهم للفسق بأنه فى منزله بين المنزلتين الى بين الكفر والايمان .

(٨) سورة النور ، آية ٤ .

فمن آيات الكتاب العزيز آيات كثيرة دالة على أن الانسان اما أن يكون شاكرا لربه أو كافرا جاحدا لنعمة تعالى عليه كقوله تعالى «هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن» (٩) ٠

والخوارج بتكفيرهم لعثمان وعلى وأصحاب الجمل والحكمين ، وتكفيرهم أيضا لأصحاب الكبائر قد تجاوزا حدود الشرع ٠

واذا كان الله عز وجل قد وصف نفسه بالرحمة ، فهو أرحم الراحمين وهو أرحم على عباده من الأم على وليدها ، فيقبل توبة العاصى ويغفر الذنوب جميعا ماعدا الشرك به تعالى لقوله عز وجل «قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا، انه هو الغفور الرحيم» (١٤) وقوله تعالى «غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير» (١١) ٠

فكيف يحق للخوارج أن يحكموا على مخالفيهم بالكفر ويصموهم بهذه الوصمة الشنيعة والحكم فى ذلك لله وحده ؟! لقوله : «قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فى ما كانوا فيه يختلفون» (١٢) ٠

فسبحان من بيده ملكوت السموات والأرض هو أعلم بمن ضل وهو أعلم بالمهتدين ٠

واذا كان التعصب والتطرف فى الرأى من الملامح المميزة لفرقة الخوارج فالأمر كذلك بالنسبة للشيعة وان زادوا عليهم بالمغلو فى حق أئمتهم ٠

---

(٩) سورة التغابن ، آية ٢ ٠
(١٠) سورة الزمر ، آية ٥٣ ٠
(١١) سورة غافر ، آية ٣ ٠
(١٢) سورة الزمر ، آية ٤٦ ٠

وقد تبينا من دراستنا لهذه الفرقة أن تعصبهم الزائد لعلى رضى الله عنه ولآل البيت هو السبب فى خروجهم على اجماع الأمة فيما يتعلق بمسألة الامامة ، وقولهم بأنها بالنص والتعيين ، وأن عليا كان أولى الناس بعد رسول الله (ص) بالخلافة لقرابته من رسول الله ، ولفضله وعلمه وسخائه وشجاعته وورعه وزهده ٠

وقد ترتب على تطرف بعض فرق الشيعة كالسبأية (١٣) والبيانية والرزامية والغالية أن غالوا فى حق أئمتهم وحكموا فيهم بأحكام الهية ، كما غالوا فى الطعن على مخالفيهم الى حد رميهم بالكفر كالجارودية الذين قالوا بتفضيل على رضى الله عنه ، ولم يروا مقامه يجوز لأحد سواه ، وزعموا أن من دفعه عن مقامه فى الامامة فهو كافر بل والأمة كفرت وضلت فى تركها بيعته ، وأن الامامة بعده فى الحسن ثم فى الحسين ثم هى شورى بين أولادهما ، والمستحق فيهم للامامة هو الامام (١٤) ٠

وقد تبينا من دراستنا لفرق الشيعة أن تعدد ميولهم فى الأصول(١٥) قد أدى الى انقسامهم الى خمس فرق هى : الكيسانية والزيدية والغالية والامامية والاسماعيلية ، وهم على نحو ما بينا آنفا ، قد تعددت ميولهم واتجاهاتهم الفكرية والفلسفية وان جمعتهم عقيدة واحدة هى أفضلية على رضى الله عنه وآل بيته وأحقيته فى الامامة بعد رسول الله (ص) ٠

---

(١٣) أتباع عبد الله بن سبأ ، أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة ، وتبرأ منهم وادعى أن عليا أمره بذلك ، وهو أول من أعلن فرض امامة على رضى الله عنه ٠

(١٤) النوبختى (أبى محمد الحسن بن موسى) : فرق الشيعة ص ١٩ ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٣١م ٠

(١٥) من الشيعة من مال الى الاعتزال ، ومنهم من مال الى أهل السنة ٠ ومنهم من مال الى التشبيه ٠

وبعد .. فكل مانرجوه بعد هذه الوقفة الأخيرة مع مذاهب الفرق الاسلامية الأربع : المعتزلة ، الأشاعرة ، الخوارج والشيعة أن نكون قد وفيناها حقها فى الدراسة والبحث والتحليل والنقد ، وأن تكون هذه الدراسة حلقة فى سلسلة دراسات اخرى فى علم الكلام ومذاهب المتكلمين .

المصادر والمراجع

لا : المصادر والمراجع العربية : -

- ابن ابى الحديد :

شرح نهج البلاغة،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩م ٠

- ابن تيمية :

منهاج السنة النبوية ط١ ، ١٣٢١هـ ٠

- ابن حجر :

الصواعق المحرقة مصر ١٣٧٥هـ ٠

- بن حيون (النعمان) :

تأويل الدعائم ج٢ ، دار المعارف مصر ١٩٦٩م ٠

- ابن خلدون :

المقدمة ، طبعة الشعب (بدون تاريخ) ٠

- ابن المرتضى (احمد بن يحيى) :

المنية والأمل فى شرح كتاب الملل والنحل،تصحيح أرنلد،مطبعة دائرة المعارف النظامية بحيدر أباد الدكن ١٣١٦هـ ٠

٧ - ابن رشـد :

الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة ، القاهرة ١٩٥٥م ٠

٨ - بن محمد (النعمان) :

اساس التاويل ، بيروت ١٩٦٠م ٠

٩ - الأشعرى (الامام ابى الحسن) :

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، تصحيح هـ ريتر اسطنبول ١٩٢٩م ٠

١٠ - شـعرى :

الابانة فى اصول الديانة ، حيدر آباد ، الطبعة الأولى ٠

١١ ـ الايجى (عضد الدين) :

المواقف فى علم الكلام ، عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) ٠

١٢ ـ الأهيجى (عبد الرازق) :

شوارق الالهام فى شرح تجريد الكلام ، طبع طهران ٠

١٣ ـ البغدادى (عبد القاهر) :

الفرق بين الفـرق ٠ مـكتبة دار التراث ، القـاهرة ، (بدون تاريخ) ٠

١٤ ـ البـلاذرى :

انساب الأشراف ، القدس ١٩٣٦م ٠

١٥ ـ التفتازانى (الدكتور أبو الوفا) :

علم الكلام وبعض مشكلاته ، دار الرائد العربى ١٩٦٦م ٠

١٦ ـ التفتازانى (سعد الدين) :

شرح العقائد النسفية ، القاهرة ١٩٣٩م ٠

١٧ ـ التوحيدى (أبو حيان) :

رسالة ثمرات العلوم ، مطبوعة بذيل كتاب الأدب والانشاء فى الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، مصر ١٣٢٣هـ ٠

١٨ ـ الجـــرجانى :

التعريفات ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٨م ٠

١٩ ـ الجوزية (ابن قيم) :

تلبيس ابليس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ٠

٢٠ ـ الجوينى (أبو المعـالى) :

الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، تحقيق د٠ محمد يوسف موسى ، على عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجى ط١ ، ١٩٥٠م ٠

٢١ ـ الجيلانى (علىّ بن فضل الله) :

توفيق التطبيق ، تحقيق محمد مصطفى حلمى ، ط١ ، ١٩٥٤م٠

٢٢ ـ الحاج (خالد محمد على) :

الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد ، جـ١ تحقيق عبد الله ابراهيم الأنصارى ، مطبوعات دار احياء التراث الاسلامى ، قطر ١٩٨٣م ٠

٢٣ ـ الخوارزمى :

مفاتيح العلوم ، مكتبة الكليات الأزهرية ط٢ ، ١٩٨١م ٠

٢٤ ـ الخياط :

الانتصار ، تحقيق وتقديم وتعليق نيبرج ، دار الندوة ، بيروت، لبنان ١٩٨٨ ٠

٢٥ ـ الشهرستانى :

الملل والنحل ، طبعة لندن ١٨٤٦م ، طبعة ليبتزج ١٩٢٣ ، طبعة القاهرة ١٩٦١م ٠

٢٦ ـ الشيبى (كامل مصطفى) :

الفكر الشيعى والنزعات الصوفية فى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى ، مكتبة النهضة بغداد ١٩٦٦ ٠

٢٧ ـ الشيبى (كامل مصطفى) :

الصلة بين التصوف والتشيع ، دار المعارف ، مصر (بدون تاريخ) ٠

٢٨ ـ العاملى (السيد محسن الأمين) :

أعيان الشيعة جـ١ مطبعة الانصاف ، بيروت ١٣٧٠هـ ٠

٢٩ ـ العبد (الدكتور عبد اللطيف محمد) :

الانسان فى فكر اخوان الصفا،مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٦م٠

٣٠ ـ العراقى (الدكتور محمد عاطف) :

تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية ، ط٣ دار المعارف ١٩٧٦م ٠

٣١ ـ العراقى (الدكتور محمد عاطف) :

المنهج النقدى فى فلسفة ابن رشد ، دار المعارف ط١ ١٩٨٠م٠

٣٢ ـ الغرابى (الدكتور على مصطفى) :

ابو الهذيل العلاف ، مطبعة حجازى ١٩٤٩م ٠

٣٣ ـ الغزالى (ابو حامد) :

المنقذ من الضلال ، طبعة ١٣٠٩هـ ٠

٣٤ ـ الغزالى (ابو حامد) :

الاقتصاد فى الاعتقاد ، القاهرة ١٩٠٩م ٠

٣٥ ـ الغزالى (ابو حامد) :

تهافت الفلاسفة ، طبعة بيروت ٠

٣٦ ـ الفارابى (ابو نصر) :

احصاء العلوم ، حققه وقدم له وعلق عليه د٠ عثمان أمين ٠
مكتبة الأنجلو (بدون تاريخ) ٠

٣٧ ـ آل كاشف الغطاء (محمد حسين) :

أصل الشيعة وأصولها ، القاهرة ١٩٥٨م ٠

٣٨ ـ الكرمانى :

راحة العقل ، القاهرة ١٩٥٢م ٠

٣٩ ـ المسعودى :

مروج الذهب ، القاهرة ١٩٥٩م ٠

٤٠ ـ المكى (ابو طالب) :

قوت القلوب ، المطبعة التجارية ١٩٦١م ٠

٤١ ـ الملطى :

التنبيه فى الرد على أهل الأهواء والبدع ، استانبول ١٩٣٦م ٠

٤٢ ـ المنذرى (الحافظ) :

مختصر صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألبانى ٠
المكتب الاسلامى ط٣ ، ١٩٧٧م ٠

٤٣ ـ الندوى (أبو الحسن) :

الامام الممتحن احمد بن حنبل ، المختار الاسلامى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٧٣م ٠

٤٤ ـ النشار (الدكتور على سامى) :

نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام جـ١ ط٨ ، ١٩٨١م ٠

٤٥ ـ احمد امين :

فجر الاسلام ط٤ مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧م ٠

٤٦ ـ بدوى (الدكتور عبد الرحمن) :

التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٩٤٦م ٠

٤٧ ـ تسهير (جولد) :

العقيدة والشريعة فى الاسلام ، الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٢١م ٠

٤٨ ـ دى بور :

تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة د٠ محمد عبد الهادى ابو ريده ، مكتبة النهضة المصرية ط٥ (بدون تاريخ) ٠

٤٩ ـ زاده (طاشى كبرى) :

مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، مطبعة دائرة المعارف النظامية ، بحيدر آباد ، الدكن الهند ٠

٥٠ ـ صبحى (الدكتور احمد محمود) :

فى علم الكلام ، عالم الكتب ، بيروت (بدون تاريخ) ٠

٥١ ـ عبد الجبار (القاضى) :

شرح الأصول الخمسة ، تحقيق د٠ عبد الكريم عثمان ١٩٦٥م٠

٥٢ ـ عبد الجبار (القاضى) :

المنيه والأمل ، جمع احمد بن يحيى المرتضى ، تقديم وتعليق د٠ عصام الدين محمد على ، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥م ٠

٥٣ ـ عبد الجبار (القاضى) :

المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، جـ٦ تحقيق الأب ج٠ش قنواتى ، مراجعة د٠ ابراهيم مدكور ، اشراف د٠ طه حسين، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ٠

٥٤ ـ عبد الرازق (مصطفى) :

تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، القاهرة ١٩٤٤م ٠

٥٥ ـ غالب (مصطفى) :

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، سوريا ١٩٥٣م ٠

٥٦ ـ لوقا (الدكتور نظمى) :

الحقيقة عند فلاسفة المسلمين ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٨٢م٠

٥٧ ـ محمد عبده (الامام) :

رسالة التوحيد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، طبعة ١٩٦٥م ٠

٥٨ ـ مدكور (الدكتور ابراهيم) :

فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيقه ، جـ١ ، جـ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ٠

٥٩ ـ موسى (الدكتور محمد يوسف) :

القرآن والفلسفة ط٤ ، دار المعارف ١٩٨٢م ٠

٦٠ ـ النوبختى (أبى محمد الحسن بن موسى) :

فرق الشيعة ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٣١م ٠

٦١ ـ هلال (الدكتور ابراهيم ابراهيم) :

نظرية المعرفة الاشراقية جـ٢ دار النهضة العربية ١٩٧٨م ٠

٦٢ ـ هويدى (الدكتور يحيى) :

دراسات فى علم الكلام والفلسفة الاسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر (بدون تاريخ) :

ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية :

1 — Albert N. Nadir : le Système Philosophique des Mu'Tazila (Premiess de L'Islam) les Lettres Orientales. 1956.

2 — The Emcyclopaedia of Islam. New edition, Leiden, E. J. Brill, 1986, vol. 1 art Al-Ashári Abu'l-Hasin. vol. 3 art Imama.

3 — John Alden Williams : Islam, New York 1961.

4 — Lalande (Andre) : Vocabulaire et critique de philosophie. Paris 1960.

5 — Macdonald (D. B.) The Religious attitude and life in Islam. Chicago 1909.

6 — Macdonald : Development of Muslim theology. Jurispru. dence and Constitutional theory, New york, 1926.

7 — W. Montgomery Watt : What is Islam, Longmans Librairie du Liban 1968.

ملاحــق

ملحق (١) : الكلام فى الارادة فى «المغنى فى أبواب التوحيد والعدل» للقاضى عبد الجبار ٠

ملحق (٢) : قول أبى الحسن الأشعرى فى «الابانة»فى اهل الحق والسنة ٠

ملحق (٣) : قول أبى المظفر الاسفراييني فى «التبصير فى الدين» فى مقالات الخوارج وفضائحهم ٠

ملحق (١)

الكلام فى الارادة فى «المغنى فى ابواب التوحيد والعدل» للقاضى عبد الجبار

قال شيخانا ابو على وابو هاشم رحمهما الله وسائر من تبعهما انه تعالى مريد فى الحقيقة ، وانه يحصل مريدا بعد ما لم يكن ، اذا فعل الارادة (١) ، وانه يريد بارادة محدثه ، ولا يصح أن يريد لنفسه ولا بارادة قديمة ، وأن ارادته توجد لا فى محل ·

ولا خلاف بين المعتزلة فى أن الارادة من صفات الفعل·وانما اختلفوا فيما هى (٢) ، الا ما حكى عن بشر بن المعتمر أنه قال : أن الارادة من الله على وجهين : صفة ذات ، وصفة فعل·فهو لم يزل مريدا لجميع افعاله ، وجميع طاعات عباده ، لأنه لا يجوز عنده أن يعلم عالم «صلاحا وخيرا» ، لا يريده·قال : فلما كان عالما بذلك أجمع كان مريدا له·والارادة التى هى صفة فعل ، أو المراد بها فعل نفسه ، وهى خلق له ، وهى قبل الفعل (٣)· لأن الشيئين (٤) لا يكون أحدهما يصاحبه وهما معا (٥)·واذا أراد به فعل عباده ، فهى الأمر به ·

---

(١) المراد هنا ان الله عندما يريد شيئا ، ويحدث هذا الشىء يكون مريدا، هذا يعنى انه تعالى لا يريد شيئا بارادة قديمة بل بارادة محدثه ·

(٢) أى فيما هى الارادة ·

(٣) الارادة التى هى صفة فعل فى رأى المعتزلة قبل الفعل ·

(٤) المقصود بالشيئين هنا : الارادة التى هى صفة ذات ، والارادة التى هى صفة فعل ·

(٥) أى لا يكون احد هذين الشيئين يصاحب الله فى فعله وهما معا، لانه تعالى اذا أراد شيئا ، فهو مريد له ، واذا تم المراد تحققت ارادته تعالى ، والارادة هنا هى صفة ذات وصفه فعل ·

وقال ابراهيم النظام : ان ارادة الله تعالى انما هى فعله أو امره او حكمه • قال : لأن الارادة فى اللغة انما تكون ذلك(٦) ، أو تكون ضميرا، أو قرب الشيء من الشيء ، كقوله تعالى : «جدارا يريد أن ينقض»(٧) ، والضمير يستحيل على الله ، فيجب أن تكون ارادته ماذكرناه • قال : والمراد يسمى ارادة فى اللغة ، يقول القائل : جئنى بارادتى ، يعنى مرادى • ويقول اراد منى كذا ، اى أمرنى به • ويقال : ان الله مريد لأن يقيم القيامة ، اى قد حكم بذلك •

والمحكى عن شيخنا أبى الهذيل رحمه الله أن ارادة الله غير المراد فارادته لما خلقه هى خلقة له ، وهى معه ، وخلق الشيء عنده غير الشيء ، وارادته لطاعات العباد هى أمره بها •

وسمعت شيخنا ابا اسحاق بن عياش ، رحمه الله ، يحكى عن جعفر بن حرب رحمه الله : انه اول من سبق الى القول بجواز ارادة الله لا فى محل •

وسمعت الصاحب الجليل أدام الله علوه يقول : ان أول من سبق ذلك شيخنا أبو الهذيل رحمه الله •

وقالت المجبره فى الارادة انها من صفات الذات ، وانه تعالى لم يزل مريدا لكل مايكون من فعله وفعل غيره • وقالوا أن المراد انه ليس بآب له ، ولا مستكره عليه ، ولا مغلوب ، لأن من كانكذلك فلابد من ان يكون مريدا •

وقال ضرار فى ارادة الله تعالى انها على وجهين : ارادة هى المراد ،

---

(٦) المقصود هنا ان الارادة فى اللغة انما تكون هى فعل أو امر أو حكم •

(٧) سورة الكهف ، اية ٧٧ ••

وهى خلق له والخلق هو المخلوق ، وفعل العباد هو مراد الله تعالى ، وهو ارادته ، وارادته الثانية هى الأمر بالطاعة ، وهى غير الطاعة ٠

وحكى عن حفص الفرد أنه قال فى ارادة الله سبحانه : أنها صفة ، وأن فعله ارادة هى صفة فى ذاته ، وصفة فى فعله ٠فالارادة التى هى صفة فى الفعل هى الأمر من الله بالطاعة ، والتى هى صفة فى الذات دافعه على كل شىء من فعله ، وفعل خلقه ٠

وحكى عن هشام بن الحكم وطبقته من الرافضة : أن ارادة الله سبحانه حركة ، وأنه معنى لا هو ولا غيره ٠

وقال الجاحظ : انه تعالى مريد بمعنى أن السهو منه فى أفعاله ، والجهل بها لا يجوز عليه ٠ قال : وقد يقال فى الحى انه مريد فى اللغة على هذا الوجه ٠

فأما الكلام فيما يجوز أن يريده تعالى ، فالذى قاله شيوخنا(٩) رحمهم الله ، أنه مريد لجميع أفعاله ، الا الارادة ، ويريد من أفعاله غيره مأمره

---

(٨) اتباع عبد الله بن سعيد ابن كلاب (المتوفى عام ٢٤٠هـ) وهو أول متكلم من أهل السنة يناقش المعتزلة ويناظرهم على طريقة كلامية عقلية وأول سلفى حاول أن يفلسف فكره الألوهية متأثرا فى ذلك بالمعتزلة وبخاصة أبى هذيل العلاف الذى عنى بهذا الجانب ٠ وفى رأى ابن كلاب وكذلك الأشعرى ان الذات تقوم بنفسها ، والصفة غير الموصوف ، والاسم غير المسمى٠ وصفات الله هى أسماؤه «وهى لست هو ولا غيره»٠ويقر ابن كلاب بصفات الذات كالسمع والبصر والعلم والحياة والكلام والقدرة وينكر صفات الفعل لانها فى رأيه تؤذن بالحدوث ٠

انظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين جـ٢ ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ، السبكى : طبقات الشافعية جـ٢ ص ٥١ ـ ٥٢ ابن تيمية : منهاج السنة جـ١ ص٢١٦ ـ ٢١٧ ، جـ٢ ص ٢٧٥ ٠

(٩) أى شيوخ المعتزلة ٠

به ، وندب اليه·ولا خـلاف بين اهل العـدل انه لا يجوز أن يريد شيئا من القبائح ·

وقد حكى عن جعفر بن حرب ، رحمه الله ، انه جوز أن يقال أن الله سبحانه أراد أن يكون الكفر مخالفا للايمان ، وأن يكون قبيحا غير حسن ، بمعنى انه حكم بذلك ، وأبى سائر أهل العدل هذا الاطلاق وانكروه ·

وقالت المجبره : انه تعـالى لم يزل مريدا لـكون ماعلم انه يكون من حسن وقبيح·وقالوا فى جميع مالا يقع منهم أنه تعالى كاره لكونه مريدا أن لا يكون ·

فهذه جمـل الخـلاف فى هذا الباب·ونحن نفصـل القـول فى ذلك ان شاء الله ، ونذكر الكلام فى أن للمريد منا حـالا ، ونبين طريقة معرفته ، وأن كونه مريدا ليس من كونه مشتهيا ولا كارها ، ولا متمنيا بسبيل ، وانه على هذه الحال لمعـله ، وانها غير المراد والحـركة والتمنى والـكراهه والشهوة ، وأن الكراهه تضادها (١٠) ، وتوجب كون الحى كارها وأن المحبة والرضى والولاية ترجع اليها (١١) ، كما أن السخط والبغض والغضب يرجع الى الكراهية ، وأنه لا ضد لهما (١٢) ، فان السهو لاينافيهما ، وان الارادة لاتتعلق بالشىء الا على وجه الحدوث أو مايتبعه ، وكذلك الكراهية ، وأنها لا توجب الفعل وان كانت تجامع المراد ، وقد تتقدمه ونبين مايصح أن يراد ولا يصح ، وما يجب أن يراد وما لا يجب ، وماتؤثر فيه الارادة ومالا تؤثر، والأفعال التى لا تقع على الوجوه التى تحصل عليها الا بالارادة ، ومايتصل به·ونبين مفـارقة المسبب للسـبب حيث يفترقان ، وموافقتهما ، ومايجب

---

(١٠) أى تضاد الارادة ·

(١١) فى رأى المجبرة أن المحبة والرضى والولاية ترجع الى الارادة ·

(١٢) أى لا ضد للارادة والكراهة ·

وقوعه اذا أراده المريد وما لا يجب، وما يدل انتفاء المراد على ضعفه وما لا يدل، وما يحسن من الارادات، وما لا يحسن، وما يكون لزما وما لا يكون، ولا يخالف فعل المريد لفعل غيره فيه وما لا يختلفان فيه، وكيفية وجود الارادة وما تحتاج اليه وما لا تحتاج، وبيان الوجه الذى يختص بالمريد، والوجوه التى عليها يراد الشيء أو يكره، وما يتناقض من ذلك وما لا يتناقض، وما يحتاج اليه الأمر والخبر وسائر الأفعال من الارادات، وما يستحيل ان يراد عليه الفعل وما لا يستحيل، وما يحسن فيه ذلك وما لا يحسن . ونبين أنه تعالى مريد فى الحقيقة لفعله وفعل غيره، وأنه ليس بمريد لنفسه، ولا بارادة قديمة، وانه مريد بارادة محدثة توجد لافى محل، وان ذلك يصح فيها، وان استحال فى سائر الأعراض . ونبين الوجه الذى تتناول ارادة الله افعاله تعالى وأفعال خلقه . ونبين فساد قول من خالفنا فيه، ونذكر من شبههم ما يحضر ونجيب عنها ان شاء الله .

ملحـــق (٢)

قول ابى الحسن الأشعرى فى الابانة
فى اهل الحق والسنة

فان قال لنا قائل قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة فعرفونا قولكم الذى به تقولون وديانتكم التى بها تدينون ٠

قيل له قولنا الذى نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا عليه السلام وما روى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ونحن بذلك معتصمون (١) وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته واجزل مثوبته قائلون ولما خالف قوله مخالفون ٠٠٠وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبماجاؤا به من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانرد من ذلك شيئا وان الله عز وجل اله واحد لا اله الا هو فرد صمد لم يتخذ صاحبه ولا ولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، وان الجنة حق والنار حق ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من فى القبور ٠

وان الله مستوى على عرشه كما قال «الرحمن على العرش استوى» وان له وجها كما قال «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» وان له يدين بلا كيف ، كما قال «خلقت بيدى» ، وكما قال «بل يداه مبسوطتان» وأن له عينين بلا كيف كما قال « تجرى باعيننا » ، وأن من زعم أن أسماء الله غيره

---

(١) المقصود هنا أن أهل السنة متمسكون بالكتاب والسنة وما روى عن الصحابة والتابعين وائمة الحديث ، وبرأى السلفيين جميعا ومنهم أحمد بن حنبل ٠

كان ضالا وأن لله علما كما قال انزله بعلمه ، وكما قال «وماتحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه» ونثبت لله السمع والبصر ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج ونثبت ان لله قوة كما قال «أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة» ونقول ان كلام الله غير مخلوق وانه لم يخلق شيئا الا وقد قال له كن كما قال «انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون» وانه لا يكون فى الارض شىء من خير وشر الا ماشاء الله ، وان من خير وشر الا ما شاء الله ، وان الاشياء تكون بمشيئة الله عز وجل ، الاشياء تكون بمشيئة الله عز وجل،أحدا لا يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يفعله (٢) ، ولا يستغنى عن الله ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل ، وانه لا خالق الا الله ، وأن أعمال العبد مخلوقه لله مقدره كما قال «خلقكم وما تعملون» ٠

وان العباد لا يقدرون ان يخلقوا شيئا وهم يخلقون كما قال «هل من خالق غير الله» وكما قال «لا يخلقون شيئا وهم يخلقون» ، وكما قال «أفمن يخلق كمن لا يخلق» ، وكما قال «أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون» هذا فى كتاب الله كثير٠وان الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر اليهم وأصلحهم وهداهم واضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم بالآيات كما زعم أهل الزيغ والطغيان ، ولو لطف بهم وأصلحهم كانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين ، وان الله يقدر ان يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد ان يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وطبع على قلوبهم ٠

وان الخير والشر بقضاء الله وقدره وانا نؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره ، حلوه ومره ونعلم ان ما اخطأنا لم يكن ليصيبنا ، وأن ما اصبنا لم يكن ليخطئنا ، وان العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا الا بالله ، كما

---

(٢) أى ما من انسان يستطيع ان يفعل شيئا قبل ان يريده الله ٠

قال عز وجل ونلجىء امورنا الى الله ونثبت الحاجة والفقر فى كل وقت اليه ، ونقول ان كلام الله غير مخلوق ، وان من قال بخلق القرآن فهو كافر. وندين بان الله تعالى يرى فى الآخرة بالابصار كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقول ان الكافرين محجوبون عنه اذا رآه المؤمنون فى الجنة كما قال عز وجل «كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» .

وان موسى عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية فى الدنيا ، وان الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكا فاعلم بذلك موسى انه لا يراه فى الدنيا وندين بان لا نكفر احدا من اهل القبلة بذنب يرتكبه كالزنا والسرقة وشرب الخمر كما دانت بذلك الخوارج وزعمت انهم كافرون ، ونقول أن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما اشبههما مستحيلا لها غير معتقد لتحريمها كان كافرا ... ونصدق بجميع الروايات التى يثبتها اهل النقل من النزول الى السماء الدنيا وان الرب عز وجل يقول هل من سائل ، هل من مستغفر، وسائر مانقلوه واثبتوه خلافا كما قال اهل الزيغ والتضليل ونعول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا وسنة نبينا واجماع المسلمين وما كان فى معناه ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا ولا نقول على الله مالا نعلم .

ملحق (٣)

قول أبي المظفر الاسفرليينى فى « التبصير فى الدين » فى مقالات الخوارج وفضائحهم

اعلم أن الخوارج عشرون فرقة ٠٠ وكلهم متفقون على امرين لا مزيد عليهما في الكفر والبدعة ٠

احدهما : انهم يزعمون أن عليا ، وعثمان ، وأصحاب الجمل ، والحكمين ، وكل من رضى بالحكمين كفروا كلهم ٠

والثانى : أنهم يزعمون أن كل من أذنب ذنبا من امة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر ، ويكون فى النار خالدا مخلدا ، الا النجدات منهم فانهم قالوا : ان الفاسق كافر على معنى أنه كافر نعمة ربه فيكون اطلاق هذه التسمية عند هؤلاء منهم على معنى الكفران لا على معنى الكفر ٠ ومما يجمع جميعهم أيضا تجويزهم الخروج على الامام الجائر ، والكفر لا محا له لازم لهم لتكفيرهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

الفرقة الأولى : منهم المحكمة الأولى (١) ، وأول من قال منهم لا حكم الا لله عروة بن حدير (٢) أخو مرداس الخارجى (٣) ، وقيل ان أول من قاله يزيد بن عاصم المحاربي (٤) ، وقيل انه رجل من بنى يشكر كان مع على رضى الله عنه بصفين ، ولما إتفق الفريقان على التحكيم ركب وحمل

---

(١) سموا كذلك لقولهم لا حكم الا الله ؛

(٢) حدير هو والدعروة أوجده ، ويقال له أيضا عروة بن أديه وهي جدته ويقال امه وعروة بن جدير هو أحد بنى ربيعة بن حنظلة انظر الكامل للمبرد جـ٢ ص ١١٦ ٠

(٣) هو مرداس بن جدير أو ابن أدية ٠

(٤) لقى حتفه فى النهروان وهو من المحكمة الأولى ٠

على أصحاب على وقتل منهم واحدا ، ثم حمل على أصحاب معاوية وقتل منهم واحدا ·ثم نادى بين العسكرين أنه برىء من على ومعاوية وأنه خرج من حكمهم فقتله رجل من همدان·ثم أن جماعة ممن كانوا مع على رضى الله عنه فى حرب صفين استمعوا منه ذلك الكلام ، واستقرت فى قلوبهم تلك الشبهة ، ورجعوا مع على الى الكوفة ، ثم فارقوه ورجعوا الى حروراء·وكانوا اثنى عشر ألف رجل من المقاتلة ومن هنا سميت الخوارج حرورية ، وكان زعيمهم يومئذ عبد الله بن الكواء (٥) ، وشبث بن ربعى (٦)··وهم (أى المحكمة الأولى) يكفرون بتكفيرهم عليا ، وعثمان ، وتكفيرهم فساق أهل الملة ، ثم خرج بعدهم جماعة من الخوارج بأرض العراق ، فكان على رضى الله عنه يبعث اليهم السرايا ويقاتلهم الى أن استأثر الله بروحه ، ونقله الى جنته ، وبقيت الخوارج على مذهب المحكمة الأولى الى أن ظهرت فتنه الأزارقة منهم فعند ذلك اختلفوا ·

الفرقة الثانية : منهم هم الأزارقة وهم اتباع رجل منهم يقال له ابو راشد نافع بن الأزرق الحنفى (٧) ، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددا ، وأشد منهم شوكة ، ولهم مقالات فارقوا بها المحكمة الأولى ، وسائر الخوارج · ومنها : انهم يقولون ، أن من خالفهم من هذه الأمة فهو مشرك ، والمحكمة

---

(٥) هو أول أمير للخوارج من وقت أن اعتزلوا جيش على وخرجوا عليه ، وكان أحد الذين اختاروا أبا موسى الأشعرى للتحكيم ·

(٦) سعى الى تجميع الخوارج وتوحيد كلمتهم انظر الكامل للمبرد جـ٢ ص ١١٦ مطبعة التقدم ١٣٢٣هـ ·

(٧) كان أول خروجه بالبصرة فى عهد عبد الله بن الزبير ، وعندما اشتدت شوكته وكثر اتباعه بعث اليه عبد الله بن الحارث جيش كبير على رأسه مسلم بن عبس ، فاشتد بينهم القتال ، وانتهى الأمر بقتل مسلم أمير الجيش ، وقتل نافع أمير الخوارج وكان ذلك فى جمادى الآخرة سنة ٦٥هـ انظر ابن الأثير : الكامل جـ٤ ص ٨١ طبعة القاهرة ١٣٩٣هـ ، المقريزى الخطط جـ٢ ص ٣٥٤ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٨٢ ·

كانوا يقولون : أن مخالفهم كافر ولا يسمونه مشركا٠ومما اختصوا به ايضا أنهم يسمون من لم يهاجر الى ديارهم من موافقيهم مشركا ، وان كان موافقا لهم فى مذهبهم٠وكان من عاداتهم فيمن هاجر اليهم (٨) أن يمتحنوه بأن يسلموا اليه أسيرا من أسراء مخالفيهم وأطفالهم ويأمروه بقتله٠ويزعمون ايضا أن أطفال مخالفيهم مشركون ، ويزعمون انهم يخلدون فى النار٠٠وقد أطبقت الأزارقة على أن ديار مخالفيهم ديار الكفر (٩) ، وأن قتل نساءهم وأطفالهم مباح ، وان رد أماناتهم لا تجب لنص كتاب الله تعالى حيث قال : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها » (سورة البقرة آية ٩٠) ٠

الفرقة الثالثة : منهم النجدات (١٠) وهم اتباع نجده بن عامر الحنفى ، وكان من حاله انه لما سمى نافع بن الأزرق من كان قد امتنع من نصرته مشركا ، وأباح قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم خرج عليه قوم من اتباعه وصاروا الى اليمامة وبايعوا نجده ، وقالوا : أن من يقول ماقاله نافع فهو كافر ثم افترق هؤلاء ثلاث فرق ، وخرجوا على نجده فصار فريق منهم مع عطية بن الأسود الحنفى (١١) الى سجستان ، وخوارج سجستان اتباع هؤلاء، ولذلك كانوا يدعون العطوية ، وصار فريق منهم تبعا لرجل كان يقال له

---

(٨) المقصود هنا أن من عادات للتأكد من صدق نوايا من ينضم الى معسكرهم أن يأمروه بقتل أسير من أسرى مخالفيهم ، فان قتله صدق فى دعواه وان لم يقتله قتلوه لأنه فى نظرهم منافق ومشرك ٠

(٩) هذا دليل على تعصبهم وغلوهم فى الحكم على مخالفيهم ٠

(١٠) نسبة الى نجده بن عامر وليس نسبة الى النجد ، وقد قتل نجده بيد أصحابه سنة ٦٠هـ ٠

(١١) أرسله نجده الى سجستان ، وعرف أصحابه بالعطوية٠ذكره الأشعرى «فى المقالات» (جـ١ ص ١٦٤ وقال «انه (أى عطية بن الأسود) لم يحدث قولا أكثر من انه انكر على نافع ما أحداثه من أقاويله ففارقه ، ثم انكر على نجده ففارقه ، ومضى الى سجستان» ٠

ابو فديك (١٢) ، وكانوا يقاتلون نجده حتى قتلوه ..

الفرقة الرابعة : هم الصفرية (١٣) ، وهم اتباع زياد الاصفر وقولهم كقول الأزارقة فى فساق هذه الأمة ، ولكنهم لا يبيحون قتل نساء فخالفيهم ولا أطفالهم ..

الفرقة الخامسة : منهم العجاردة (١٤) وهم اتباع عبد الكريم بن عجرد وكان من اتباع عطية بن أسود الحنفى ، ومما اتفق عليه العجاردة قولهم : ان كل طفل بلغ فانه يدعى أن يقر بدين الاسلام ، وقبل ان يبلغ يتبرؤن عنه ولا يحكمون له بحكم الاسلام فى حالة طفولته وخاصة مذهبهم ان الازارقة كانوا يبحون اموال مخالفيهم حتى يقتل صاحب المال أولا ، وهؤلاء الذين ينتحلون هذا المذهب افترقوا : فمنهم الخارمية (١٥) ، ومنهم الشعيبية،ومنهم الخليفة ، ومنهم المعلومية ، ومنهم الشعيبية،ومنهم الخليفة ، ومنهم المعلومية ومنهم الصلتية ، ومنهم الخمزية ، ومنهم الثعالبة ، ومنهم المعبدية ، ومنهم الأخنسية ، ومنهم الشيبانية ، ومنهم المكرمية .

الفرقة السادسة : الإباضية (١٦) ، وهم اتباع عبد الله بن اباض ،

---

(١٢) كان من أصحاب نجدة ثم خالفه ، وأتباعه يقال لهم الخوارج الفديكية هم الذين قتلوا نجده .

(١٣) جمع صفرى.سموا كذلك لأحد وجهين : اما لصفره وجوههم من كثرة السهر والعبادة واما نسبة الى جمع الاصفر وهو أبو زياد الذى تنتسب اليه هذه الفرقة . الكامل للمبرد جـ٢ ص ١٨٠ .

(١٤) خالف العجاردة اراء اسلافهم من الخوارج فى امر الجهاد ، فلم يكفروا العقدة منهم عن القتال ، ولم يفرضوا الهجرة من دار المخالفين ، فالهجرة عندهم فضيلة وليست فرضا .

(١٥) تقول الخازمية بقول أهل السنة فى القدر والاستطاعة والمشيئة ، فلا خالق الا الله ، ولا يكون الا ما شاء الله ، والاستطاعة مع الفعل .

(١٦) نسبة الى عبد الله بن اباض بكسر الهمزة كما يقول السمعانى فى الأنساب ، ويقول ابن قتيبة ابن عبد الله بن أباض من بنى مرة بن عبيد

=

ثم هم فيما بينهم فرق وكلهم يقولون : ان مخالفيهم من فرق هذه الأمة كفار لا مشركون ولا مؤمنون ، ويجوزون شهاداتهم ويحرمون دمائهم فى السر ويستبيحونها فى العلانية ، ويجوزون مناكحتهم ويثبتون التوارث بينهم ، ويحرمون بعض غنائمهم ويحللون بعضها ، يحللون ما كان من جملة الأسلاب (١٧) والسلاح ويحرمون ما كان من ذهب أو فضة ويردونها الى اربابها (١٨) ٠

=

من بنى تميم ، ويتميز مذهب الاباضية _ دون غيرهم من فرق الخوارج _ بالتسامح وعدم التشدد ، فلا يكفرون مسلما خالفهم فى الرأى ، وانما يقولون بأنه كافر نعمة لا عقيدة ٠ويجيزون الزواج والتوارث بينهم وبين سائر الموحدين٠ ويتفقون مع المعتزلة فى القول بخلق القرآن،واستحالة رؤية الله يوم القيامة، وخلود صاحب الكبيرة فى النار اذا مات بغير توبة ٠

(١٧) الخيل ٠

(١٨) المقصود هنا أن الاباضية لا يستحلون من أموال مخالفيهم فى الحرب الا الخيل والسلاح أما الذهب والفضة فيردونها الى أصحابها ٠

الفهرس

الموضـــــوع	الصـــــفحة
الفصل السادس	
الشـــيعة	١١٣ - ١٣٦

المـــلاحق

رقم الايداع ٩٩١٣/١٩٩١
I. S. B. N. 977 — 00 — 2748 — 0

دار الوزان للطباعة والنشر
القاهرة ــ المعــادى ت : ٣٥١٠٧٠١

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد القاهرة